

الأكاديمية العربية الدولية



الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الأكاديمية العربية الدولية المقررات الجامعية

التفكير النقدي: ما هو وما أهميته

بيتر فاسيون (Peter A. Facione)

أدخل الراحل جورج كارلن (George Carlin) مفهوم "التفكير النقدي" إلى أحد مونولوجات مشاهده الكوميديّة عن مخاطر أن ندع حياتنا وثرواتنا نتوقف على قرارات يتخذها ناس سذج وجاهلة ومغفلون. ولو أنه عاش ليشهد الانهيار الاقتصادي في عامي 2008م و2009م، لأضاف المزيد إلى آراءه اللاذعة والدقيقة في الوقت نفسه بشأن تأثير فشل الفرد في توقّع عواقب قراراته إذ يؤدي ذلك غالبًا إلى نتائج كارثية لا تؤثر فقط على صاحب القرار بل على آخرين كثير أيضًا.

بعد سنوات من النظر إلى التعليم العالي على أنه منفعة خاصة تعود بالفائدة على الطالب وحده، ها نحن نبدأ مجددًا بتقدير التعليم العالي بوصفه منفعة عامة تفيد المجتمع أيضًا، أفليس الاستثمار في تعليم القوى العاملة المستقبلية هو سياسة اجتماعية أكثر حكمة من أن نعاني من التكاليف المالية ونتحمل الأعباء الاجتماعية والمادية المرتبطة بالضعف الاقتصادي ومشكلات الصحة العامة والجريمة والفقر الممكن تفاديها؟ ولعل هذا الإدراك -إلى جانب مزاياه الواضحة لصنع القرار الاستراتيجي رفيع المستوى- هو ما دفع رئيس هيئة الأركان المشتركة إلى أن يعلّق على التفكير النقدي في خطابه الموجّه إلى دفعة خريجين من الضباط العسكريين.

ستسترجع الطريقة التي ألهمتك لتفكر نقديًا،
وتتساءل دون خوف، وتبحث عن حلول
تختلف اختلافًا جذريًا، وتعبر عنها دون الرد
بالمثل، وتقرأ على نطاق واسع ومتعمق،
وتدرس دون كلل، وتنمو فكريًا [...] وما
أطلبه هو: نقل ذلك.

Navy Adm. Mike Mullen, June 11. 2009

إذن بإعادة الطباعة لأغراض غير تجارية

نُشرت هذه المقالة في إنسايت للتقييم (Insight Assessment)، وظهرت النسخة الأصلية في عام 1992م وحُدثت عدة مرات على مر السنين. وعلى الرغم من أن الكاتب والناشر يملكان جميع حقوق الطبع والنشر، فإنه من أجل النهوض بالتعليم وتحسين التفكير النقدي فقد سُمح بتصوير نسخ ورقية وإلكترونية ورقمية لا محدودة شريطة أن تُوزَّع مجاناً. ولكن في حالة الاقتباس أو الاستخراج من هذه المقالة سواءً جزئياً أو كلياً فإنه ينبغي أن يُكتب المرجع بطريقة مناسبة وذلك بذكر عنوان هذه المقالة كاملاً، واسم الكاتب، واسم الناشر، والسنة، ورقم الصفحة أو الصفحات التي ذكر فيها الاقتباس في هذه الطبعة. ولتصاريح إعادة الطباعة بغرض البيع يرجى التواصل مع (Insight Assessment) على الرقم: 6506975628 أو على البريد الإلكتروني: jmorante@insightassessment.com. ريمك 13: 1-978-891557-1-07.

ولدعم نفقات نشر هذه المقالة مجاناً لأغراض غير تجارية، فقد أدرج الناشر معلومات عن بعض أدوات اختبار التفكير النقدي الموجودة في المقالة، إذ تُقيّم هذه الأدوات مهارات التفكير النقدي والعادات العقلية التي ذُكرت في هذه المقالة، ولبناء مهارات التفكير النقدي والعادات العقلية، ضع في الحسبان استخدام:

THINK_Critically, Facione & Gittens, Pearson Education 2013

عَلَّمَ الناس أن يتخذوا قرارات سليمة فأنت بذلك تُعدهم لتحسين مستقبلهم الخاص وليصبحوا أعضاء مساهمين في المجتمع بدلاً من أن يكونوا عبئاً عليه، فعلى الرغم من أن تعلّم المرء وممارسته للحكم الجيد لا يضمنان له تماماً عيش حياة سعيدة، أو التمتع بالفضيلة، أو النجاح الاقتصادي، فإنهما يوفّران له بالتأكيد فرصة أكبر للتمتع بهذه الأمور، ومن الواضح أن ذلك أفضل من تحمّل عواقب اتخاذ القرارات الخاطئة وأفضل من إثقال كاهل الأصدقاء والعائلة ومن تبقى منّا بالعواقب غير المرغوبة التي يمكن تفاديها لهذه الاختيارات السيئة.

تعريف "التفكير النقدي":

نعم قد سبق لنا بالتأكيد الاستماع إلى مديري الأعمال التنفيذيين وواضعي السياسات والقادة المدنيين والمعلمين وهم يتحدثون عن التفكير النقدي، ووجدنا أنفسنا في بعض الأحيان نتساءل عن معنى التفكير النقدي بالضبط ولماذا هو مفيد ومهم جداً. ستلقي هذه المقالة نظرة أعمق على هذه الأسئلة.

ولكن، بدلاً من البدء بتعريف مجرد -كما لو كان التفكير النقدي متعلقاً بالحفظ وذلك مفهوم خاطئ- طبق التجربة الذهنية التالية: تخيل أن صديقك دعاك إلى مشاهدة فيلم، لكنه فيلم لا تُودّ مشاهدته. يسألك صديقك عن السبب وتخبره بسببك الحقيقي وهو أن الفيلم لا يناسبك، ثم يطلب منك صديقك أن توضح السبب بشرح ما يزعجك في الفيلم، فتردّ عليه بأن ما يزعجك هو ليس اللغة المستخدمة بل إن العنف الذي يظهر في الفيلم تراه أنت غير مقبول.

من المفترض أن تكون هذه الإجابة كافية بالتأكيد ولكن افترض أن لصديقك هذا ميولاً فلسفية أو أنه ببساطة فضولي أو أنه يحب الجدل ولذلك يواصل مناقشة الأمر بطلبك أن تحدد ما تعنيه بـ"العنف غير المقبول".

فكر للحظة وحاول، كيف ستعرّف "العنف غير المقبول" بما ينطبق على الأفلام؟ هل يمكنك ذكر وصف يجسّد ما يتضمنه هذا المفهوم شائع الاستخدام؟ لكن خذ حذرك، فلا نريد أن يكون تعريفنا له عامًا جدًا إذ تصبح جميع مشاهد العنف في الأفلام "غير مقبولة"، وتأكد من أن أسلوبك في تعريف "العنف غير المقبول" يتناسب مع فهم الناس العام لهذا المصطلح، وإلا فإنهم لن يستطيعوا فهم ما تعنيه عندما تستخدم هذا التعبير.

هل توصّلت إلى تعريف مناسب؟ كيف عرفت ذلك؟

إن ما فعلته للتو مع مصطلح "العنف غير المقبول" يماثل تقريبًا ما كان يجب فعله مع مصطلح "التفكير النقدي". فمن جهة، نعلم جميعًا ما معنى "التفكير النقدي" فهو يعني التفكير الجيد أي تقريبًا عكس التفكير غير المنطقي أو غير العقلاني ولكننا عندما نختبر فهمنا أكثر، تواجهنا أسئلة، فمثلًا، هل التفكير النقدي هو نفس التفكير الإبداعي أو هل يختلفان أو هل أحدهما جزء من الآخر؟ كيف يرتبط التفكير النقدي والذكاء العام أو الكفاءة الدراسية ببعضها البعض؟ هل يركّز التفكير النقدي على الموضوع أو المحتوى الذي تعرفهما أو على العملية التي تستخدمها عندما تفكر في ذلك المحتوى؟

قد لا يضر على الإطلاق أن تكون بعض الأفكار الأولية المؤقتة عن الأسئلة التي طرحناها للتو، فنحن البشر نتعلم بصورة أفضل عندما نتوقف لنتأمل بين الحين والآخر بدلًا من أن ننتقل من أعلى الصفحة إلى أسفلها بسرعة دون التوقف للتفكير في محتواها.

حسنًا، كيف تقترح أن نمضي في تعريفنا لـ "التفكير النقدي"، فأنت حقًا لا تريد تعريفًا يظهر أمامك فجأة على الصفحة حتى تحفظه، أليس كذلك؟ سيكون ذلك سخيًا وذا نتائج عكسية غالبًا، فالهدف هنا هو مساعدتك لتصلق مهارات التفكير النقدي الخاصة بك ولتنمّي روح التفكير النقدي لديك. ورغم أن للحفظ العديد من الاستخدامات القيمة بالتأكيد، فإن تعزيز التفكير النقدي ليس أحدها. إذن، فلنلقِ نظرة إلى الوراء على ما قد تكون فعلته لتعرّف "العنف غير المقبول" ولنرى إن كان يمكننا التعلّم منك. هل فكّرت في مشاهد أفلام احتوت على عنف غير مقبول، وهل قارنتها مع مشاهد أخرى إما لم تحتو على عنف أو لم تحتو على عنف غير مقبول؟ إن فعلت، فذلك جيّد، فهذه إحدى طرق معالجة المشكلة (لكنها ليست الطريقة الوحيدة)، وتسمى علميًا بإيجاد الحالات النموذجية، ولحسن الحظ فإنه كما هو الحال مع الكثير من أمور الحياة، لا يجب عليك معرفة اسمها لتفعلها جيّدًا.

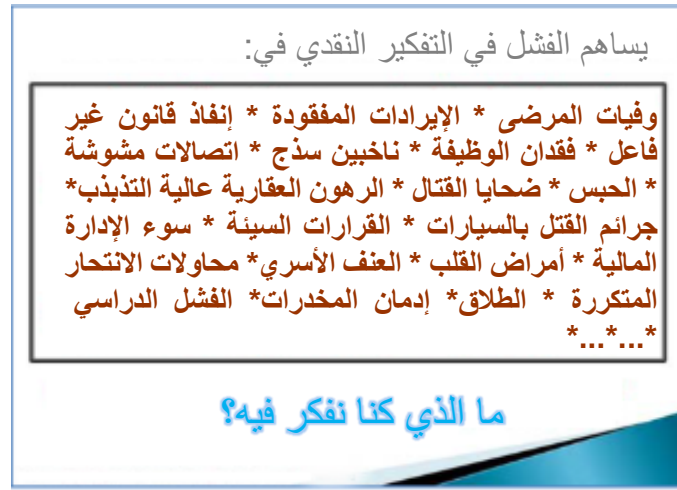
ليس في العالم شيء أكثر خطورة من جهل واضح
وغباء يملّيه الضمير.

مارتن لوثر كينغ جونيور
(Martin Luther King, Jr. xiv)

وبالعودة إلى التفكير النقدي، فلنطلب من أنفسنا التوصل إلى أمثلة محتملة للتفكير النقدي القوي؟ ماذا عن التساؤلات الذكية والحاذقة لسقراط أو لمحام أو مذيع جيّد؟ أو ماذا عن أساليب التحقيق الذكية التي يتبعها محققو الشرطة أو محللو مسرح الجريمة؟ ألا نريد أن نضمّ أيضًا الناس

الذين يعملون معًا لحل مشكلة ما عندما يدرسون خياراتهم ويناقشونها؟ ماذا عن فرد جيد في الاستماع لجميع أطراف النزاع والنظر في جميع الحقائق، ومن ثم البت فيما له صلة بالموضوع أو ما ليس له، وبعد ذلك يصدر حكمًا مدروسًا؟ وربما أيضًا، فرد قادر على تلخيص الأفكار المعقدة بوضوح وإنصاف جميع الأطراف، أو فرد قادر على التوصل إلى أكثر شرح متناسق ومبرر لما تعنيه فقرة من مادة مكتوبة؟ أو فرد يمكنه بسهولة إيجاد بدائل معقولة ليستقصيها غير أنه لا يتخذ موقفًا دفاعيًا تجاه التخلي عنها إن لم تنجح؟ وكذلك الفرد الذي يمكنه أن يفسر بالضبط كيف جرى التوصل إلى نتيجة معينة أو لماذا تنطبق بعض المعايير دون الأخرى؟

أو يمكننا بالنظر إلى مفهوم التفكير النقدي من الاتجاه المعاكس أن نسأل ما العواقب المحتملة للفشل في استخدام التفكير النقدي؟ تخيل للحظة ما يمكن أن يحدث عندما يتخذ فرد أو مجموعة قرارات مهمة دون التوقف أولاً للتفكير مليًا في هذه القرارات؟



رأي خبير:

طلب من مجموعة دولية من الخبراء أن يحاولوا التوصل بإجماع إلى معنى للتفكير النقدي.¹ وكان أول ما فعلوه هو طرح السؤال التالي على أنفسهم: من هم أفضل من نعرفهم من المفكرين النقديين وما الذي يتمتعون به حتى نراهم الأفضل؟ إذن من هم أفضل المفكرين النقديين الذين نعرفهم؟ لماذا تعتقد أنهم مفكرون نقديون أقوياء؟ هل تستطيع استخلاص وصف أكثر تجريداً من هذه الأمثلة؟ فعلى سبيل المثال، تأمل كيف يترافع محامو المرافعات المؤثرين عن قضاياهم في المحكمة بصرف النظر عن الكيفية التي يعيشون بها حياتهم الخاصة أو ما إذا كان موكلوهم مذنبين أم أبرياء، فهم يستخدمون الحجج ليحاولوا إقناع القاضي وهيئة المحلفين بدعوى موكلهم بالإدانة أو البراءة، ويقدمون أدلتهم ويقيمون أهمية الأدلة التي يقدمها المحامون المعارضون، ويؤولون الشهادة، ويحللون حجج الجانب الآخر ويقيمونها.

والآن انظر في مثال لفريق من الناس الذين يحاولون حل مشكلة ما، فسترى أن أعضاء

¹ إن العديد من الخصائص المفيدة للتفكير النقدي التي أشار إليها مشاهير العلماء والمعلمين تتجسد في:

Conversations with Critical Thinkers, John Esterle and Dan Clurman (Eds.). Whitman Institute. San Francisco, CA. 1993.

الفريق يحاولون أن يتعاونوا بخلاف الوضع الذي تشهده المحكمة، فأعضاء الفريق الفاعل لا يتنافسون ضد بعضهم البعض بل يعملون بانسجام كالزملاء لتحقيق الهدف المشترك، فلا يفوز أحدهم حتى يحلّون المشكلة، وعندما يجدون وسيلة لحل المشكلة، عندها يفوزون جميعًا. فبتحليلنا لمثالين فقط يمكننا أن نعمم أمرًا مهمًا جدًا: التفكير النقدي هو تفكير له غرض (إثبات وجهة نظر أو تفسير معنى أمر ما أو حل مشكلة) لكن يمكن للتفكير النقدي أن يكون محاولة تعاونية غير تنافسية. وبالمناسبة، يتعاون المحامون أيضًا، إذ يمكنهم العمل معًا على دفاع عام أو محاكمة مشتركة، كما يمكنهم التعاون مع بعضهم للوصول إلى الحقيقة حتى تتحقق العدالة.

وستنوصل إلى تعريف أدق للتفكير النقدي عما قريب، ولكن في البداية، هناك أمر آخر يمكننا تعلمه من الأمثلة النموذجية. عندما فكّرت سابقًا في "العنف غير المقبول" هل جئت بأي مثال صعب عليك تصنيفه؟ مثل الحالات المختلف عليها إن جاز التعبير، أي مثال قد يراه فرد ما عنيفًا بينما يراه فرد آخر غير عنيف. نعم، ونحن كذلك. وسحدث هذا مع جميع المفاهيم التجريدية، كما أنه يحدث مع مفهوم التفكير النقدي أيضًا. كما أن هناك أناس يمكننا أن نقول عنهم في بعض الأحيان أنهم مفكرون جيدون وواضحون ومنطقيون ونيّرون ومنتبهون للحقائق ومنفتحون للبدائل، ولكن عجبًا ينبغي الحذر منهم في أحيان أخرى. فعندما نتحدث معهم عن موضوع كهذا أو ذاك، ينتهي كل شيء حينها، فأنت أثرت أمرًا ما في أنفسهم وأصبحوا لا يريدون أن يسمعوا ما لدى الآخرين من أقوال، فهم يتخذون قراراتهم مسبقًا، وينحّون المعلومات الجديدة جانبًا، ولا يقبلون بأي وجهة نظر أخرى.

هل تعرف أي فرد قد يطابق هذا الوصف العام له؟

حسنًا، ما الذي يُمكننا تعلّمه عن التفكير النقدي من حالة كهذه؟ ربما أكثر مما يمكننا أن نتعلمه من التفكير في الحالات السهلة فقط، لأن أي حالة يُختلف عليها تجبرنا أن نميّز الاختلافات المهمة، وتواجهنا وتطالبنا باتخاذ قرار: نعم أم لا! وليس ذلك فحسب، بل لماذا؟ إذن ماذا سيفعل صديقنا متفتح التفكير في بعض الأمور ومنغلق التفكير في أمور أخرى؟ فلنأخذ الأجزاء التي نوافق عليها نظرًا لأنه يبدو لنا أنها تساعدنا عادة على التصرف بعقلانية ومنطقية ولندرجها ضمن مفهوم التفكير النقدي، ولنأخذ الأجزاء التي تتعارض مع المنطق، وتغلق الذهن أمام احتمالية ظهور معلومات جديدة ذات صلة، وترفض حتى احتمالية أن يكون للجانب الآخر أي مزية ولنسمّيها تفكيرًا رديئًا غير مجدٍ وغير نقدي.

قلة هم من يسعون حقًا إلى المعرفة في هذا العالم. وقليل جدًا من هم في الحقيقة يسألون هل نحن خالدون أم لا، بل على العكس من ذلك، فهم يحاولون أن ينتزعوا من المجهول الحلول التي شكلوها مسبقًا في عقولهم، أي المبررات والتوضيحات وأنماط الراحة التي لا يمكنهم الاستمرار دونها. ولكن أن تسأل حقًا يعني أنك تفتح الباب لزوجة عظيمة، وقد ينفي الحل السؤال والسائل.

قائل العبارة هو الشخصية الخيالية لمصاص الدماء ماريوس (Vampire Marius) من كتاب (The Vampire Lestat^{vii})²

والآن، أعدّ قائمة بالحالات أي بالأفراد الذين من الواضح أنهم مفكرون نقديون أقوياء، ومن هم مفكرون نقديون ضعفاء، ومن هم في المنتصف. وبالنظر إلى كل هذه الحالات، ما الأمور التي يتسمون بها وجعلتك تقرر أي نوع هم؟ اقتراحات: ما الذي يستطيع أن يفعله المفكرون النقديون الأقوياء (ما القدرات الذهنية التي يتمتعون بها) ويواجه المفكرون النقديون الضعفاء صعوبة في فعله؟ ما المهارات أو الأساليب التي يبيدها المفكرون النقديون الأقوياء عادةً ويبدو أن المفكرين النقديين الضعفاء لا يمتلكونها؟



مهارات التفكير النقدي الأساسية:

اقترحنا عليك أعلاه أن تبحث عن قائمة بالمهارات الذهنية والعادات الذهنية، ويشير الخبراء إلى قوائهم -عندما يواجهون المشكلة نفسها التي تحاول حلها- بأنها شاملة/مميول ومهارات معرفية.

ففيما يتعلق بالمهارات المعرفية هنا، هذا ما يدرجه الخبراء ضمن لبّ التفكير النقدي: التفسير، والتحليل، والتقييم، والاستنباط، والإيضاح، والتقنين الذاتي. (سنتطرق إلى الميول خلال لحظات). هل ظهرت أي من هذه الكلمات أو الأفكار عندما حاولت وصف المهارات المعرفية -القدرات الذهنية- المتضمنة في التفكير النقدي؟

نقلًا عن البيان المتفق عليه لفريق الخبراء الوطني: **التفسير** هو "فهم معنى أو أهمية مجموعة واسعة من التجارب أو الأوضاع أو البيانات أو الأحداث أو الأحكام أو الأعراف أو المعتقدات أو

² قائل العبارة هو الشخصية الخيالية لمصاص الدماء ماريوس من كتاب (The Vampire Lestat Ballantine Books. New York, NY. 1985) للكاتبة آن رايس (Ann Rice).

القواعد أو الإجراءات أو المعايير ومن ثم التعبير عنها".³ ويتضمن التفسير المهارات الفرعية للتصنيف، واستخلاص الأهمية، وتوضيح المعنى. هل يمكنك أن تفكر بأمثلة للتفسير؟ ماذا عن تحديد المشكلة ووصفها بحيادية؟ وماذا عن معرفة نوايا شخص ما بقراءة تعابير وجهها، أو تمييز الفكرة العامة من الأفكار الثانوية في أحد النصوص، أو تكوين تصنيف أولي أو طريقة لترتيب ما تدرسه، أو إعادة صياغة أفكار فرد ما بطريقتك الخاصة، أو إيضاح ما تعنيه علامة أو خريطة أو رسم بياني؟ ماذا عن تحديد هدف كاتب ما أو موضوعه أو وجهة نظره؟ وماذا عما فعلته مسبقاً عندما أوضحت معنى "العنف غير المقبول"؟

مجددًا، وفقًا لرأي الخبراء: **التحليل** هو "تحديد العلاقات الاستنباطية المرجوة والفعلية ضمن العبارات أو الأسئلة أو المفاهيم أو التوصيفات أو الأشكال الأخرى للتعبير التي ترمي إلى التعبير عن المعتقد أو الحكم أو التجارب أو الأسباب أو المعلومات أو الآراء". ويُدرج الخبراء فحص الأفكار وكشف الحجج وتحليلها ضمن المهارات الفرعية للتحليل. ومجددًا، هل يمكنك أن تفكر بعدد من الأمثلة للتحليل؟ ماذا عن تحديد أوجه الشبه والاختلاف بين النهجين المستخدمين لحل مشكلة بعينها؟ ماذا عن انتقاء الادّعاء الرئيس المُقدّم في مقال افتتاحي لأحد الصحف وتعبّر المبررات المختلفة التي يقدمها المحرر لدعم هذا الادّعاء؟ أو ماذا عن تحديد الافتراضات غير المعلنة، أو إيجاد طريقة للتعبير عن استنتاج عام والمبررات العديدة التي تقدّم لدعمه أو نقده، أو ربط علاقة الجمل أو الفقرات ببعضها أو بالغرض الرئيس من النص؟ ماذا عن تنظيم هذه المقالة بيانياً بطريقتك الخاصة علماً أن الهدف منها هو تقديم فكرة أولية عن معنى التفكير النقدي؟

يعرّف الخبراء **التقييم** بأنه: "تقييم مصداقية العبارات أو أشكال التعبير الأخرى التي تمثل أو تصف إدراك الفرد أو خبرته أو وضعه أو حكمه أو معتقده أو رأيه، وتقييم القوة المنطقية للعلاقات الاستنباطية الفعلية أو المرجوة ضمن العبارات أو التوصيفات أو الأسئلة أو الأشكال الأخرى للتعبير". أمثلتك؟ ماذا عن الحكم على مصداقية كاتب أو متحدث ما، أو مقارنة نقاط القوة والضعف في التفسيرات البديلة، أو تحديد مدى مصداقية مصدر المعلومات، أو تقدير ما إن كانت عبارتان تناقضان بعضهما أو ما إذا كانت الأدلة المطروحة تدعم الاستنتاج الجاري استخلاصه؟ ومن الأمثلة التي اقترحها الخبراء ما يلي: "إدراك العوامل التي تجعل من الفرد شاهدًا موثوقًا به فيما يتعلق بحدث معين، أو ما يجعل سلطة ما موثوقة بالنسبة لموضوع محدد" و"تقدير ما إذا كانت نتيجة نقاش ما تُستنتج بيقين أم بثقة عالية بالأسس التي بُنيت عليها" و"تقدير ما إن كانت القوة المنطقية للحجج مبنية على حالات فرضية" و"تقدير ما إن كانت حجة معينة ذات صلة بالوضع الراهن أو تنطبق عليه أو لها آثار عليه".

هل لدى الأفراد الذين ترى أنهم مفكرون نقديون أقوىاء هذه المهارات المعرفية المذكورة

³ إن النتائج التي توصل إليها إجماع الخبراء المذكورة أو المشار إليها في هذه المقالة منشورة في:

Critical Thinking: A Statement of Expert Consensus for Purposes of Educational Assessment and Instruction. Peter A. Facione, principle investigator, The California Academic Press, Millbrae, CA, 1990. (ERIC ED 315423).

وفي عامي 1993/1994م، أجرى مركز دراسات التعليم العالي في جامعة ولاية بنسلفانيا (Pennsylvania State University) دراسة على 200 من واضعي السياسات والموظفين وأعضاء هيئة التدريس من كليات السنتين وكليات الأربع سنوات لتحديد ما تراه هذه المجموعة جوهر مهارات التفكير النقدي والعادات الذهنية، ومُول مكتب التعليم والبحث التربوي في وزارة التربية والتعليم دراسة جامعة ولاية بنسلفانيا تحت إشراف الدكتورة إليزابيث جونز (Elizabeth Jones)، وأثبتت نتائج دراسة ولاية بنسلفانيا التي نُشرت عام 1994م صحة إجماع الخبراء المذكور في هذه المقالة.

حتى الآن؟ هل يتقنون التفسير والتحليل والتقييم؟ ماذا عن المهارات الثلاث الأخرى؟ وهل تنعدم هذه المهارات المعرفية لدى من ذكرتهم من المفكرين النقيدين الضعفاء؟ جميعها أم بعضها فقط؟

بالنسبة للخبراء، يعني **الاستنباط**: "تحديد العناصر اللازمة لاستخلاص استنتاجات معقولة وتأمينها، وتكوين التخمينات والفرضيات، والنظر في المعلومات ذات الصلة، واستنتاج العواقب المترتبة على البيانات أو العبارات أو المبادئ أو الأدلة أو الأحكام أو المعتقدات أو الآراء أو المفاهيم أو التوصيفات أو أي شكل آخر من أشكال التعبير". ويُدرج الخبراء المهارات التالية كمهارات فرعية للاستنباط: الاستعلام عن الأدلة، وتخمين البدائل، واستخلاص النتائج. هل يمكنك أن تفكر في بعض الأمثلة للاستنباط؟ يمكنك أن تقترح أمورًا مثل رؤية الآثار المترتبة على الموقف الذي يدافع عنه فرد ما، أو استخلاص المعنى أو صياغته من العناصر الموجودة في قراءة ما، أو قد تقترح أن التنبؤ بما سيحدث لاحقًا هو ما شكّل ما هو معلوم عن القوى المؤثرة في وضع ما، أو صياغة تركيبة من الأفكار المترابطة لتصبح وجهة نظر متماسكة. ماذا عما يلي: بعد أن تقرر أنه سيكون من المفيد لك أن تتيقن من أمر معين لست متأكدًا منه، تضع خطة عملية لجمع المعلومات التي ستساعدك على التأكد؟ أو عندما تواجه مشكلة ما، تضع مجموعة من الخيارات لحلها؟ وماذا عن إجراء تجربة خاضعة للسيطرة علميًا وتطبيق الأساليب الإحصائية المناسبة لمحاولة تأكيد فرضية تجريبية ما أو نفيها؟

وبصرف النظر عن القدرة على التفسير والتحليل والتقييم والاستنباط، فإنه يمكن للمفكرين النقيدين الأقوياء أن يفعلوا أمرين آخرين، فهم يستطيعون شرح ما يفكرون به وكيف توصلوا إلى هذا الحكم، كما أنهم يستطيعون تطبيق قدرات التفكير النقدي الخاصة بهم على أنفسهم وتحسين آرائهم السابقة، ويطلق على هاتين المهارتين "الإيضاح" و"التقنين الذاتي".

ويعرّف الخبراء **الإيضاح** بأنه قدرة الفرد على ذكر استنتاجات استدلاله بصورة متماسكة ومقنعة، وهذا يعني القدرة على إعطاء فرد ما نظرة شاملة عن الصورة العامة، أي أنه "الإشارة إلى الاستدلال وتبريره فيما يتعلق بالاعتبارات الإثباتية والمفاهيمية والمنهجية والمعيارية والسياقية التي بُنيت على أساسها استنتاجات فرد ما، وتقديم الاستدلال في صورة حجج مقنعة". المهارات الفرعية التي تندرج تحت الإيضاح هي وصف الأساليب والاستنتاجات، وتبرير الإجراءات، وتقديم الاقتراحات والدفاع بحجج قوية عن التفسيرات السببية والنظرية لفرد ما للأحداث ووجهات النظر، وتقديم حجج كاملة ومعللة جيدًا في سياق السعي إلى الوصول إلى أفضل فهم ممكن. اذكر أمثلك أولاً، رجاء... إليك المزيد منها: رسم مخطط بياني ينظم النتائج التي توصل إليها أحدهم، أو كتابة أفكارك الحالية عن موضوع مهم ومعقد للرجوع إليها مستقبلاً، أو الإشارة إلى المقاييس أو العوامل السياقية المستخدمة لتقدير جودة تفسير نص ما، أو ذكر نتائج البحث ووصف الأساليب والمعايير المستخدمة للوصول إلى هذه النتائج، أو اللجوء إلى المعايير المعتمدة كوسيلة لإظهار معقولة حكم معين، أو تصميم عرض بياني يمثل بدقة العلاقة الفرعية والرئيسية بين المفاهيم أو الأفكار، أو ذكر الأدلة التي دفعتك إلى قبول موقف مؤلف من قضية ما أو رفضه، أو إدراج العوامل التي تم أخذها بعين الاعتبار عند تحديد الدرجة النهائية لمادة دراسية.

ولكن ربما تكون المهارة الأجدر بالملاحظة من بينها جميعًا هي المهارة التالية، وهي جديرة بالملاحظة لأنها تسمح للمفكرين النقيدين الأقوياء أن يحسّنوا تفكيرهم، وإلى حد ما، هذا هو التفكير النقدي منطبقًا على نفسه، ولذلك يريد بعض الناس أن يسمّوا ذلك بـ"ما وراء المعرفة" (meta-)

(cognition) بمعنى أنها ترفع التفكير إلى مستوى آخر، لكن "مستوى آخر" لا يعبر عن ذلك بصورة كاملة لأن ما يفعله التقنين الذاتي في المستوى الذي يليه هو إلقاء نظرة إلى الوراء على جميع أبعاد التفكير النقدي وإعادة التحقق من ذاته. لذا فإن التقنين الذاتي مثل دالة الاستدعاء الذاتي (recursive function) في المصطلحات الرياضية، مما يعني أنها قد تنطبق على جميع الأمور بما في ذلك نفسها، فيمكنك متابعة تفسير قدمته وتصحيحه، ويمكنك أيضاً فحص استنباط توصلت إليه وتصحيحه، ويمكنك مراجعة أحد شروحاتك الخاصة وإعادة صياغته، كما يمكنك فحص أو تصحيح قدرتك على فحص وتصحيح ذاتك! كيف؟ إنها ببساطة العودة إلى الوراء وسؤال نفسك: "كيف أبلي؟ هل نسيث شيئاً مهماً؟ سأعيد التحقق قبل أن أمضي قدماً".

يعرّف الخبراء **التقنين الذاتي** بأنه "الوعي الذاتي لمراقبة فرد ما لأنشطته المعرفية والعناصر المستخدمة في تلك الأنشطة والنتائج المستنبطة وذلك تحديداً عبر تطبيق المهارات في التحليل وتقييم الأحكام الاستنباطية للفرد نفسه بهدف التحقيق في استدلال فرد ما أو نتائجه أو تأكيدها أو إثباتها أو تصحيحها". المهارتان الفرعيتان هنا هما الفحص الذاتي والتصحيح الذاتي، تريد أمثلة؟ ذلك سهل فمثلاً: أن تفحص أرائك حول مسألة مثيرة للجدل مع مراعاة التأثيرات المحتملة لتحيزاتك الشخصية أو مصلحتك الذاتية، وأن تتفقد نفسك عند استماعك لمحدث ما لتتأكد تماماً من استيعابك لما يقوله حقاً دون أن تطرح أفكارك الخاصة، وأن تراقب مدى فهمك أو استيعابك لما تقرأه أو تشهده، وأن تذكر نفسك بفصل أرائك وافتراساتك الشخصية عن تلك التي يحملها كاتب قطعة أو نص ما، وأن تعيد التحقق من نفسك بإعادة حساب الأرقام، وأن تغير من سرعة قراءتك وأسلوبها مع مراعاة نوع المادة التي تقرأها وغرضك من القراءة، وأن تعيد النظر في تفسيرك أو حكمك بالنظر إلى مزيد من التحليلات لحقائق الوضع، وأن تتفح أجوبتك بالنظر إلى الأخطاء التي اكتشفتها في عملك، وأن تغير استنتاجك في ضوء إدراكك أنك أسأت تقدير أهمية عوامل معينة عندما توصلت إلى قرارك المسبق.⁴

أسئلة لتطلق العنان لمهاراتنا في التفكير النقدي	
التفسير	• ماذا يعني هذا؟
	• ما الذي يحدث؟
	• كيف ينبغي أن نفهم ذلك (مثل: ما الذي قاله أو قالته للتو)؟
	• ما الطريقة المثلى لتمييز ذلك أو تصنيفه أو ترتيبه؟
	• في هذا السياق، ما الذي كان يُقصد بقول ذلك أو عمله؟
	• كيف يمكننا إيجاد معنى له (التجربة أو الإحساس أو العبارة)؟

⁴ إن اختبار ولاية كاليفورنيا لمهارات التفكير النقدي، واختبار الاستدلال اليومي، واختبار استدلال الصحة العامة، والنموذج الاستدلالي للقوات المسلحة والدفاع، واختبار مهارات التفكير النقدي للأعمال، ونموذج استدلال الدراسات القانونية إضافة إلى أدوات الاختبار الأخرى التي أعدها الدكتور فاسيون وفريق بحثه لمن هم في المدرسة والكلية والخريجين أو من هم في العمل المهني تستهدف مهارات التفكير النقدي الأساسية المذكورة هنا، وقد نشر موقع (Insight Assessment) حصرياً هذه الأدوات باللغة الإنجليزية وبعده ترجمت معتمدة أخرى.

<ul style="list-style-type: none"> • رجاءً أخبرنا أسبابك مرة أخرى لهذا الادعاء. • ما استنتاجك/وما الأمر الذي تدّعيه؟ • ولماذا تعتقد ذلك؟ • ما الافتراضات التي يجب أن نتخذها لقبول هذا الاستنتاج؟ • ما أساسك لقول ذلك؟ 	التحليل
<ul style="list-style-type: none"> • بالنظر إلى ما نعرفه حتى الآن، ما الاستنتاج الذي يمكننا التوصل إليه؟ • بالنظر إلى ما نعرفه حتى الآن، ما الأمور التي يمكننا استبعادها؟ • ما الذي يشير إليه هذا الدليل؟ • في حال تخيلنا عن هذا الافتراض أو قبلنا به، كيف ستتغير الأمور؟ • ما المعلومات الإضافية التي نحتاج إليها لحل هذه السؤال؟ • في حال صدقنا هذه الأمور، فما الذي ستمليه علينا للمضي قدمًا؟ • ما عواقب القيام بالأمور بهذه الطريقة؟ • ما البدائل المعينة التي لم تستكشف بعد؟ • لنفكر في كل خيار ونرى إلى أين سيأخذنا. • هل هناك عواقب غير مرغوبة يمكننا توقعها بل وينبغي لنا ذلك؟ 	الاستنباط
<ul style="list-style-type: none"> • ما مدى موثوقية ذلك الادعاء؟ • ما الذي يجعلنا نعتقد أنه بإمكاننا الثقة بما يدعيه هذا الشخص؟ • ما مدى قوة هذه الحجج؟ • هل نمتلك الحقائق الصحيحة؟ • ما درجة الثقة التي يمكن أن نكون عليها في استنتاجنا، بالنظر إلى ما نعرفه الآن؟ 	التقييم
<ul style="list-style-type: none"> • ما الاكتشافات أو النتائج المحددة في التحقيق؟ • يرجى إعلامنا عن الطريقة التي أجريت فيها التحليل؟ • كيف توصلت إلى هذا التفسير؟ • رجاءً اشرح لنا استدلالك بالتفصيل مرة أخرى. • لماذا تعتقد أن تلك هي (الإجابة الصحيحة أو الحل الصحيح)؟ • كيف ستشرح أسباب اتخاذ هذا القرار بحد ذاته؟ 	الإيضاح
<ul style="list-style-type: none"> • بما أن موقفنا في هذه القضية لا يزال مبهمًا جدًا، هل يمكننا أن نكون أكثر دقة؟ • ما مدى جودة منهجيتنا، وما مدى اتباعنا لها بصورة جيدة؟ 	التقنين الذاتي

- هل هناك من سبيل للتوفيق بين هاتين النتيجتين المتضاربتين على ما يبدو؟
- ما جودة دليلنا؟
- حسناً، وقبل أن نبدأ، ما الأمور المتبقية؟
- أرى أن بعض تعريفاتنا محيرة قليلاً، هل يمكننا أن نعيد النظر فيما قمنا به قبل اتخاذ أية قرارات أخيرة؟

Source © 2009.

دليل اختبار كاليفورنيا لمهارات التفكير النقدي، نشره موقع (Insight Assessment). يستخدم بعد الحصول على الإذن.

طريقة دلفي (Delphi) للبحث:

تضمّن فريق الخبراء الذي نواصل الإشارة إليه ستة وأربعين رجلاً وامرأة من جميع أرجاء الولايات المتحدة وكندا، وقد مثلوا العديد من التخصصات العلمية المختلفة في الإنسانيات والعلوم والعلوم الاجتماعية والتربية، كما شاركوا في مشروع بحثي دام عامين وأجري بالنيابة عن الجمعية الأمريكية للفلسفة (Philosophical American Association)، وقد نُشر عملهم تحت مسمى: التفكير النقدي - بيان بإجماع الخبراء لأغراض التعليم والتقييم التربوي. (The California Academic Press, Millbrae, CA, 1990) يمكنك تحميل ملخص تنفيذي لهذا التقرير مجاناً بزيارة موقع:

<http://www.insightassessment.com>

قد نتساءل كيف لمجموعة كبيرة كهذه أن تتعاون على هذا العمل لفترة طويلة الأمد ورغم هذا البعد في المسافات ومع ذلك تتوصل إلى إجماع في الآراء، سؤال جيد! تذكر أننا نتحدث عما قبل أيام البريد الإلكتروني.

لم يقتصر الأمر على اضطرار المجموعة إلى أن تعتمد على البريد التقليدي البطيء خلال تعاونهم الذي استمر لعامين، بل اعتمدوا أيضاً على طريقة للتواصل عُرفت بطريقة دلفي، وهي طريقة أنشئت تحديداً لتمكين الخبراء من التفكير بفاعلية في أمر ما على مدى بعيد من المسافة والوقت. وفي طريقة دلفي، هناك باحث وسيط ينظم المجموعة ويزودها بالأسئلة الأولية [ويرجع الأمر في هذه الحالة إلى كيف ينبغي أن يُعرّف التفكير النقدي على مستوى الكلية حتى يتسنى للأفراد الذين يُدرّسون في هذا المستوى معرفة المهارات والميول التي يجب أن يغرسوها في طلابهم]. ويتلقى الباحث الوسيط جميع الردود ويلخصها ثم يعيد إرسالها إلى جميع أعضاء المجموعة ليُبدوا ردود أفعالهم وإجاباتهم وأي أسئلة إضافية.

انتظر لحظة! هؤلاء هم جميعاً خبراء معروفون، فما الذي تفعله إن اختلفت آراء الناس؟ وماذا عن التأثير المحتمل لاسم شخص مشهور؟ نقاط جيدة. أولاً، يتخذ الباحث الوسيط تدابير إجرائية لإزالة الأسماء حتى لا يعرف أعضاء المجموعة من قال ماذا، فهم يعرفون الأعضاء الموجودين في المجموعة لكن هذا أقصى ما في الأمر، وبعد ذلك، يجب أن تستند حجة كل خبير على أسسها الخاصة. ثانياً، تكمن جودة الخبير في جودة الحجج التي يقدمها فقط، إذن، يُلخّص الباحث الوسيط

الحجج ويتيح لأعضاء المجموعة أن يقرروا ما إن كانوا يقبلونها أم لا. وعندما يتم التوصل إلى إجماع في الآراء، يقترح الباحث الوسيط ذلك ويسأل إن كان الأفراد موافقين عليه، وإن لم يوافقوا عليه، تُسجل نقاط الاختلاف بين الخبراء. نريد أن نطلعك على مثال واحد مهم لكل من هذه الأمور. أولاً، سنصف الرأي الذي أجمع عليه الخبراء في الميول الضرورية للغاية للتفكير النقدي القوي، ومن ثم سنشير إلى نقطة فصل بين الخبراء.

المصدر: تعريفات مهارة التفكير النقدي المذكورة مقتبسة من:

APA Report: Expert Consensus Statement on Critical Thinking (ERIC ED 315 423)

مهارات التفكير النقدي الأساسية		
المهارة	وصف إجماع الخبراء	المهارة الفرعية
التفسير	"فهم معنى مجموعة واسعة من التجارب أو الأوضاع أو البيانات أو الأحداث أو الأحكام أو الأعراف أو المعتقدات أو القواعد أو الإجراءات أو المعايير ومن ثم التعبير عنها".	التصنيف استخلاص الأهمية التدريب المبكر
التحليل	"تحديد العلاقات الاستنباطية المرجوة والفعلية ضمن العبارات أو الأسئلة أو المفاهيم أو التوصيفات أو الأشكال الأخرى للتعبير التي ترمي إلى التعبير عن المعتقد أو الحكم أو التجارب أو الأسباب أو المعلومات أو الآراء".	فحص الأفكار تحديد الحجج تحديد الأسباب والمطالبات
الاستنباط	"تحديد وتأمين العناصر اللازمة لاستخلاص استنتاجات معقولة، وتكوين التخمينات والفرضيات، والنظر في المعلومات ذات الصلة، واستنتاج العواقب المترتبة على البيانات أو العبارات أو المبادئ أو الأدلة أو الأحكام أو المعتقدات أو الآراء أو المفاهيم أو التوصيفات أو أي شكل آخر من أشكال التعبير".	الاستعلام عن الأدلة تخمين البدائل التوصل إلى الاستنتاجات من خلال استخدام الاستدلال الاستقرائي والاستنتاجي
التقييم	"تقييم مصداقية العبارات أو أشكال التعبير الأخرى التي تمثل أو تصف إدراك الفرد أو خبرته أو وضعه أو حكمه أو معتقده أو رأيه، كما أنه تقييم للقوة المنطقية للعلاقات الاستنباطية الفعلية أو المرجوة ضمن العبارات أو التوصيفات أو الأسئلة أو الأشكال الأخرى للتعبير".	تقييم مصداقية الادعاءات تقييم جودة الحجج التي قُدمت من خلال استخدام الاستدلال الاستقرائي والاستنتاجي
الإيضاح	"الإشارة إلى الاستدلال وتبريره فيما يتعلق بالاعتبارات الإثباتية والمفاهيمية والمنهجية والمعارية والسياقية التي بُنيت على أساسها استنتاجات فرد ما، وتقديم الاستدلال في صورة حجج مقنعة".	طرح النتائج تبرير الإجراءات تقديم الحجج
التقنين لذاتي	"الوعي الذاتي لمراقبة فرد ما لأنشطته المعرفية، والعناصر المستخدمة في تلك الأنشطة، والنتائج المستنبطة وذلك تحديداً عبر تطبيق المهارات في التحليل وتقييم الأحكام الاستنباطية للفرد نفسه بهدف التحقق في استدلال فرد ما أو نتائجها أو تأكيدها أو إثباتها أو تصحيحها".	المراقبة الذاتية التصحيح الذاتي

الميل إلى التفكير النقدي:

أي نوع من الناس قد يميل إلى استخدام مهارات التفكير النقدي الخاصة به؟ يصف الخبراء بلغة شاعرية هذا الفرد بأنه يتحلى بـ"روح نقدية"، والتحلي بروح نقدية لا يعني أن الفرد دائماً يتخذ موقفاً سلبياً وشديد الانتقاد تجاه جميع الناس والأمور.

يستخدم الخبراء العبارة المجازية "روح نقدية" بمنحى إيجابي، ويقصدون بذلك "حب المعرفة الاستكشافي، والرغبة العقلية، والإخلاص المتعصب للاستدلال، والتعطش أو التلهف للحصول على المعلومات الموثوقة".

تبدو هذه الصفات مشابهة تقريباً لصفات قاضية المحكمة العليا ساندرا داي أوكونور (Sandra Day O'Connor) أو شيرلوك هولمز (Sherlock Holmes). فنوع الفرد الموصوف هنا هو النوع الذي يسأل دائماً "لماذا؟" أو "كيف؟" أو "ماذا سيحدث لو؟" ولكن الاختلاف الوحيد الرئيس هنا هو أن شيرلوك هولمز في القصص الخيالية يحل اللغز دائماً، بينما لا يوجد ما يضمن ذلك في العالم الحقيقي. يتعلق التفكير النقدي بكيفية التعامل مع المشكلات والأسئلة والقضايا، وهو أفضل طريقة نعرفها للوصول إلى الحقيقة، ولكن! ليست هناك ضمانات حتى الآن، فلا توجد إجابات في الجزء الأخير من كتاب الحياة الحقيقية. إذن، هل يتفق وصف المفكرين النقديين الأقوياء بأنهم يمتلكون "روحاً نقدية، وحب معرفة استكشافي، ورغبة عقلية..." مع أمثلتك عن الأفراد الذين ترى أنهم مفكرون نقديون أقوياء؟

ولكنك قد تقول إنني أعرف أناس يمتلكون المهارات ولكنهم لا يستخدمونها، فلا نستطيع أن نصف أحداً بأنه مفكر نقدي قوي فقط لأنه يمتلك هذه المهارات المعرفية مهما كانت أهميتها، فماذا لو لم يحاولوا تطبيقها؟

قد يكون أحد الردود على ذلك هو أنه من الصعب تصوّر راقص ناجح لم يرقص قط، فبعد العمل على تحسين هذه المهارات، يبدو أنه من المؤسف تركها تضعف بسبب قلة التدريب، لكن الراقصين يتعبون ويستسلمون للتصلّب الناجم عن التقدم في العمر أو الخوف من الإصابة. أما بالنسبة إلى مهارات التفكير النقدي، فقد نقول إنه من الصعب تصوّر عدم استخدامها عند امتلاكك لها، إذ إن من الصعب تصوّر فرد يقرر ألا يفكر.

بصفته شكلاً من أشكال إصدار الحكم المتأني أو صنع القرار التأملي، التفكير النقدي بمعناه الحقيقي شائع، وقلماً يكون هناك وقت أو مكان لا يبدو فيه ذا قيمة ممكنة، فمادام أن الناس لديهم أهداف في أذهانهم ويودّون أن يقرروا كيف سينجزونها، ومادام أن الناس يتساءلون ما الصحيح وما الخطأ، وما الذي يصدقونه وما يرفضونه، فالتفكير النقدي القوي سيكون ضرورياً.

ومع ذلك، تحدث أمور غريبة، لذا من المرجح صحّة الرأي القائل بأن بعض الناس قد يتركون مهارات تفكيرهم تتبدّد، فمن السهل تصوّر أوقات يكون فيها الناس منهكين أو مترخين أو خائفين للغاية. ولكن لك أن تتخيل ذلك يا سكاى ووكر الصغير (Young Skywalker)، فلا بدّ أن يشتمل التفكير النقدي على ما هو أكثر من قائمة المهارات المعرفية فقط، فالبشر أكثر من مجرد آلات تفكر،

وهذا يعيدنا إلى تلك السلوكيات المهمة التي أطلق عليها الخبراء اسم "الميل".

وقد كان الخبراء مقتنعين أن التفكير النقدي ظاهرة إنسانية هادفة وشائعة، ويمكن وصف المفكر النقدي المثالي ليس فقط من خلال مهاراته المعرفية بل بالنظر أيضًا إلى أسلوبه في الحياة والمعيشة بشكل عام، وهذا ادعاء جريء بأن التفكير النقدي يتعدى قاعة الدراسة، ففي الواقع يخشى الكثير من الخبراء أن بعض ما يشهده الناس في المدرسة هو في الحقيقة مضرّ بتطوير التفكير النقدي القوي وتعزيزه.



وقد جاء التفكير النقدي قبل اختراع التعليم، فهو يكمن في عمق جذور الحضارة، وهو حجر أساس في رحلة الجنس البشري من الهمجية الوحشية إلى المراعاة الشاملة. فكّر كيف ستكون الحياة دون الأمور الموجودة في هذه القائمة ونعتقد أنك ستفهم.

تشمل أساليب الحياة والمعيشة التي تصف التفكير النقدي ما يلي:

- * حب الاستطلاع فيما يتعلق بمجموعة واسعة من المسائل.
- * الاهتمام بالبقاء على اطلاع والاستمرار في ذلك.
- * التأهب لفرص استخدام التفكير النقدي.
- * الثقة في عمليات الاستفسار المبرّر.
- * ثقة الفرد بقدرته على الاستدلال.
- * الانفتاح على وجهات النظر العالمية المتباينة.
- * المرونة في النظر إلى البدائل والآراء.
- * تفهم آراء الآخرين.
- * الإنصاف عند تقييم الاستدلال.
- * الصراحة في مواجهة الفرد لتحيزاته أو أحكامه المسبقة أو صورته النمطية أو نزاعاته الأنانية.
- * توخي الحذر عند تعليق الأحكام أو إصدارها أو تغييرها.
- * الرغبة في إعادة النظر في الآراء ومراجعتها عندما يشير التفكير الصادق إلى أن تغييرها ضروري.

كيف سيكون وضع الفرد الذي يفتقر إلى هذه الميل؟

قد يكون فردًا لا يأبه كثيرًا بأي أمر كان ولا يهتم بالحقائق ويفضل ألا يفكر ولا يثق بالاستدلال كطريقة لاستنتاج الأمور أو حل المشكلات ولا يرى أهمية قدراته الاستدلالية الخاصة ومنغلق الذهن وغير مرن وعديم الإحساس ولا يمكنه فهم ما يقوله الآخرون وغير منصف عند الحكم على جودة الحجج وينكر تحيزه وينتقل بسرعة إلى الاستنتاجات أو يؤجل إصدار الأحكام كثيرًا وليس مستعدًا أبدًا لإعادة النظر في رأي ما، فهو ليس فردًا يثق فيه ذوو الحكمة ليدير استثماراتهم!

ذهب الخبراء إلى ما هو أبعد من أساليب الحياة والمعيشة بشكل عام للتأكيد على أنه يمكن وصف المفكرين النقديين الأقوياء فيما يتعلق بكيفية تعاملهم مع قضايا أو أسئلة أو مشكلات معينة، وقد ذكروا أنك سوف تجد الأنواع التالية من الخصائص:

- * الوضوح في طرح السؤال أو المشكلة.
- * الانتظام عند التعامل مع التعقيدات.
- * الاجتهاد في البحث عن المعلومات ذات الصلة.
- * المعقولية في اختيار المعايير وتطبيقها.
- * الحرص على تركيز الاهتمام على المشكلة الراهنة.
- * الإصرار رغم مواجهة الصعوبات.
- * تحري الدقة إلى الدرجة التي يسمح بها الموضوع والظروف.

إذن، كيف سيتعامل مفكر نقدي ضعيف مع مشكلات أو مسائل معينة؟ بالطبع سيكون طائشًا حيال ما يفعله، أو فوضويًا وبسيطًا للغاية، أو غير متكافئ بشأن التوصل إلى الحقائق، أو مبالغًا إلى تطبيق معايير غير عقلانية، أو من السهل تشتيته، أو مستعدًا للاستسلام عند مواجهة أدنى قدر من الصعوبة، أو مصممًا على إيجاد حل مفصل أكثر من اللازم، أو مقتنعًا بإجابة عامة جدًا أو مبهمة بلا جدوى. هل تذكر هذه الصفات بأحدٍ ما؟

من المرجح أن الفرد الذي يبدي موقفًا إيجابيًا تجاه استخدام التفكير النقدي سيتفق مع العبارات التالية:

"أكره البرامج الحوارية التي يهتف الناس فيها بآرائهم دون أن يبرروها على الإطلاق"
"إن معرفة ما يعنيه الناس حقًا بما يقولونه هو أمر مهم بالنسبة إلي"
"دائمًا ما أجلي أحسن في الوظائف التي يتوقع مني فيها أن أفكر بالأمور بنفسي"
"أؤجل اتخاذ القرارات إلى أن أمعن النظر في خياراتي"
"بدلًا من أن أعتمد على الملاحظات التي كتبها فرد آخر، أفضل أن أقرأ المادة المكتوبة بنفسي"

"أحاول أن أرى المفيد في الرأي الآخر حتى لو رفضته لاحقًا"
"حتى لو كانت المشكلة أصعب مما توقعت، سأواصل العمل على حلها"

"اتخاذ القرارات الذكية أهم من الفوز في المجادلات"



من المحتمل أن من ينظر إلى التفكير النقدي براهية وعدائية لن يتفق مع العبارات المذكورة أعلاه ولكنه على الأرجح سيتفق مع العبارات التالية:

"أفضل العمل في الوظائف التي يخبرني فيها المدير بما أفعله وكيفية القيام به بالضبط"
 "مهما كانت المشكلة معقدة، يمكنك أن تراهن أن هناك حلاً بسيطاً لها"
 "لا أضيع وقتي في البحث عن الأمور"
 "أكره عندما يناقش المعلمون المشكلات بدلاً من تقديم الحلول فحسب"
 "إذا كان اعتقادي خالصاً حقاً فالأدلة التي تدعم ما هو عكس ذلك ليست ذات أهمية"
 "إن بيع الأفكار كبيع السيارات ففي كلتا الحالتين تقول ما ترى أنه سينجح"

استخدمنا مصطلح "المفكر النقدي القوي" لنقارنه بمصطلح "المفكر النقدي الضعيف"، لكنك ستشاهد أناساً يُسقطون صفة "قوي" (أو "جيد") ويقولون إما إن الفرد "مفكر نقدي"، أو إنه ليس كذلك، وذلك مشابه لقولنا إن لاعب كرة قدم (كرة القدم الأوروبية) هو "مدافع" أو "ليس مدافع" بدلاً من أن نقول إن مهارات اللاعب الدفاعية قوية أو ضعيفة، فالناس يستخدمون كلمة "مدافع" بدلاً من عبارة "جيد في الدفاع". وعلى هذا النحو، يستخدم الناس "مفكرًا نقديًا" بدلاً من "مفكر نقدي قوي" أو "مهارات التفكير النقدي لديه قوية"، وهذا ليس اختصارًا كلاميًا مفيدًا فقط، ولكنه يشير أيضًا إلى أن مصطلح "مفكر نقدي" يُعدّ إطاراً بالنسبة إلى بعض الناس، إذ إن هذا المصطلح قد يستخدم للثناء على أحدهم في الوقت الذي يُستخدم فيه للتعريف به، كما في قولنا "انظروا إلى هذا اللاعب، هذا من أسميه مدافعًا!"

"إذا اضطررنا إلى الاختيار بين امتلاك هذه السمات الشخصية أو امتلاك المعرفة بمبادئ الاستدلال المنطقي إلى جانب درجة من المهارة الفنية في التلاعب بالعمليات المنطقية الخاصة، ينبغي لنا أن نختار الخيار الأول".

John Dewey, *How We Think*, 1909

أعيد نشره كالتالي:

How We Think: A Restatement of the Relation of Reflective Thinking to the Educational Process. D. C. Heath Publishing. Lexington, MA. 1933.

ذكرنا أن الخبراء لم يتوصلوا إلى اتفاق تام في موضوع ما، وهذا الموضوع يرتبط بمفهوم "المفكر النقدي القوي". سنركز هذه المرة على كلمة "جيد" نظرًا إلى احتوائها على غموض شديد، فقد يُجيد الفرد التفكير النقدي مما يعني أنه قد يمتلك الميول المناسبة وقد يكون بارعًا في العمليات المعرفية، بينما هو في الوقت ذاته مفكر نقدي غير جيد (من الناحية المعنوية)، فمثلاً: قد يكون فرد ما بارعًا في تقديم الحجج، ومن ثم يستخدم مهارته هذه بشكل غير أخلاقي ليضلّل فردًا ساذجًا ويستغله، أو ليرتكب احتيالاً، أو ليربك الناس ويشوش عليهم عمدًا، أو ليحبط مشروعًا.

واجه الخبراء مشكلةً مثيرة للاهتمام، وهي أن بعض الناس -أقلية منهم- يفضلون أن يعتقدوا أن التفكير النقدي بمحض طبيعته يتنافى مع الأمثلة المذكورة غير الأخلاقية والمؤدية إلى نتائج عكسية مقصودة، فيرون أنه من الصعب أن يتصوّروا أن هناك فردًا جيدًا في التفكير النقدي، ولكنه ليس بجيد بالمعنى الاجتماعي والشخصي العام. وبعبارة أخرى، إذا كان الفرد "فعلاً" "مفكرًا نقديًا قويًا" بالمعنى الإجرائي وإذا كان يمتلك جميع الميول المناسبة، فإنه ببساطة لن يفعل أيًا من هذه الأمور الخطيرة والاستغلالية.

ميلول التفكير النقدي نموذج تقييم ذاتي

- أجب بـ "نعم" أو "لا" عن كل سؤال. **أمكنني تسمية حوادث محددة من اليومين الماضيين كنت فيها كالآتي:**
- 14 ____ بذلاً من العمل على السؤال من تلقاء نفسي سلكت الطريق السهل وطلبت الإجابة من فرد آخر؟
- 7 ____ بذلت جهداً حقيقياً لكي أحلل النتائج المتوقعة لقراراتي؟
- 1 ____ كنت شجاعاً بما فيه الكافية في طرح أسئلة صعبة عن معتقداتي الأكثر تأصلاً وأعزها؟
- 8 ____ تلاعبت بالمعلومات لتتناسب مع أهدافي الخاصة؟
- 15 ____ قرأت تقريراً أو صحيفة أو فصلاً من كتاب أو شاهدت أخبار العالم أو فيلمًا وثائقياً لمجرد تعلم شيء جديد؟
- 2 ____ ابتعدت عن الأسئلة التي يمكن أن تضعف بعض معتقداتي الأكثر تأصلاً وأعزها؟
- 9 ____ شجعت الزملاء على عدم رفض آراء الآخرين وأفكارهم التي قدموها؟
- 16 ____ لم أبذل أي جهد في تعلم شيء جديد حتى أرى فائدة فورية من فعل ذلك؟
- 3 ____ أظهرت تسامحاً تجاه معتقدات وأفكار وآراء فرد لا اتفق معه؟
- 10 ____ عملت دون مراعاة العواقب غير المحببة المحتملة لاختياراتي؟
- 17 ____ أظهرت مدى قوتي من خلال استعدادي لإعادة النظر بكل صراحة في القرار؟
- 4 ____ حاولت البحث عن معلومات لدعم جانبي من الحجة وليس الجانب الآخر؟
- 11 ____ نظمت لنفسي نهجاً تنظيمياً مدروساً لسؤال أو قضية ما؟
- 5 ____ حاولت استباق الأحداث وتوقع عواقب مختلف الخيارات؟
- 12 ____ تدخلت وحاولت حل المشكلة دون التفكير أولاً بطريقة حلها؟
- 18 ____ أظهرت مدى قوتي من خلال رفض تغيير رأيي؟
- 19 ____ راعيت الاختلافات في الظروف والسيئات والمواقف عند اتخاذ القرار؟
- 6 ____ ضحكت على ما يقوله الآخرون وسخرت من معتقداتهم وقيمهم ووجهات نظرهم وآرائهم؟
- 13 ____ تعاملت مع مشكلة صعبة وأنا واثق من قدرتي على التفكير فيها ملياً؟

20__ رفضت إعادة النظر

في موقعي من القضية في ظل اختلافات السياق والمواقف أو الظروف؟

إذا كنت قد وصفت نفسك بصراحة، فإن نموذج التقييم الذاتي هذا يمكن أن يقدم إليك تقديرًا تقريبيًا عن الطريقة التي ترى فيها ميلك العام إلى التفكير النقدي في اليومين الماضيين. امنح نفسك خمسة نقاط لكل "نعم" في النقاط المرقمة فريدًا ولكل "لا" في النقاط المرقمة زوجيًا. وفي حال كان مجموعك 70 أو فما فوق، فإنك تُقيم ميلك إلى التفكير النقدي في اليومين الماضيين على أنه إيجابي بشكل عام. وتشير العلامات من 50 فما أدنى إلى تقييم ذاتي لا يفضل التفكير النقدي أو يعاديه في اليومين الماضيين. وتظهر العلامات التي تتراوح ما بين 50 و70 أنك تقيم نفسك بأنك تظهر ميلًا عامًا متناقضًا أو مختلطًا تجاه التفكير النقدي في اليومين الماضيين. فسّر نتائج هذه الأداة بحذر. وفي أحسن الأحوال، تقدم هذه الأداة تقديرًا تقريبيًا فقط فيما يتعلق بلحظة وجيزة من الوقت. هناك أدوات أخرى أكثر دقة مثل قائمة كاليفورنيا للميل إلى التفكير النقدي، إذ تعطي نتائج لكل من العادات الذهنية السبع للتفكير النقدي.

© 2009 Measured Reasons LLC,
Hermosa Beach. CA.
يستخدم بعد الحصول على الإذن.

يظهر نموذج التقييم الذاتي هذا أيضًا في الفصل الثالث من كتاب: *Think Critically*, Pearson Education, 2011. للحصول على مقياس أدق لسلوكيات التفكير النقدي، انظر:

California Critical Thinking Disposition Inventory (CCTDI) by Facione and Facione, published in 1992, by Insight Assessment.

لكن الأغلبية العظمى لديهم رأي مخالف، فهم متمسكون برأيهم القائل إن التفكير النقدي ليس له علاقة بأي مجموعة معينة من المعتقدات الثقافية أو المذاهب الدينية أو القيم الأخلاقية أو الأعراف الاجتماعية أو التوجهات السياسية أو المبادئ التقليدية أيًا كانت، بل أن الالتزام الذي يقطعه المفكر النقدي القوي على نفسه هو أن يبحث دائمًا عن الحقيقة بموضوعية، ونزاهة، وإنصاف. ويؤكد غالبية الخبراء أن التفكير النقدي باعتبار ما وصفناه أنفًا لا يتعارض للأسف مع استغلال الفرد لمعرفته أو مهاراته أو سلطته، فقد كان هناك أناسٌ يمتلكون مهارات تفكير فائقة وعادات عقلية قوية ولكنهم استخدموا مواهبهم لأغراض شرسة، وشنيعه، وغير أخلاقية مع الأسف، وكم أتمنى لو لم يكن الأمر كذلك، وأن كلاً من الخبرة، والمعرفة، والقدرة العقلية، والفضيلة الأخلاقية جميعًا تعني الأمر ذاته، ولكن من أيام سقراط -إن لم يكن قبل ذلك بألاف السنين- عرف البشر أن العديد منّا يتصفون بوحدة أو أكثر من هذه الأمور دون أن يتصفوا بالمجموعة كاملة.

إن أي نهج أو وسيلة يتبناها الناس لمعالجة الأوضاع قد تفضي إلى أيٍّ من النتيجتين -من الناحية الأخلاقية- بالاستناد إلى شخصية الأفراد التي يتبعون هذه الوسائل أو النهج ونزاهتهم ومبادئهم. إذن، في نهاية المطاف، أكد غالبية الخبراء أننا لا نستطيع أن نقول أن فردًا ما لا يفكر

بصورة نقدية فقط لأننا نرفض ما يفعله هذا الفرد أخلاقياً، كما أن الأغلبية استنتجوا أن "معنى التفكير النقدي" وأهميته وأخلاقيات استخدامه هي على أفضل تقدير ثلاثة شؤون مختلفة".

وربما أن هذا الإدراك يشكّل جزءاً من الأساس الذي بسببه يطالب الناس هذه الأيام بنطاق أوسع من نتائج التعليم في مدارسنا وكنياتنا، إذ إن "المعرفة والمهارات" اللتان تشكلان أساس الفلسفة التربوية في منتصف القرن العشرين غير كافيتين، فيجب علينا أن نتطلع لمجموعة أوسع من النتائج بما في ذلك العادات العقلية والسلوكيات مثل المشاركة المدنية، والاهتمام بالمصلحة العامة، والمسؤولية الاجتماعية.

"التفكير" في الثقافة الشعبية:

لقد ذكرنا العديد من الأمور الجيدة عن التفكير النقدي مما قد يكون لديك انطباعاً بأن "التفكير النقدي" و "التفكير الجيد" يعنيان الشيء نفسه، ولكن ليس هذا ما قاله الخبراء، فهم يرون أن التفكير النقدي يُشكّل جزءاً مما نعنيه بالتفكير الجيد ولكنهم لا يرون أنه الشكل الوحيد للتفكير الجيد، فعلى سبيل المثال كانوا سيدرجون التفكير الإبداعي كجزء من التفكير الجيد.

التفكير الإبداعي أو الابتكاري هو التفكير الذي يؤدي إلى رؤى جديدة، ونُهج مبتكرة، وآفاق حديثة، وطرق جديدة تماماً لفهم الأمور وتصورها، وتتضمن نتائج التفكير الإبداعي بعض الأمور الواضحة كالموسيقى، والشعر، والرقص، والأدب الدرامي، والابتكارات، والاختراعات التقنية. ولكن هناك بعض الأمثلة غير الواضحة كذلك، مثل أساليب طرح الأسئلة التي توسّع آفاق الحلول الممكنة أو طرق تصوّر العلاقات التي تختبر الافتراضات المسبقة لدى المرء وتقوده إلى رؤية العالم بطرق مختلفة وواسعة الخيال.

تصرّف الخبراء الذين يتناولون مفهوم التفكير النقدي بحكمة إذ تركوا كامل السؤال حول الأشكال الأخرى التي قد يتضمنها التفكير الجيد دون إجابة، فالتفكير الإبداعي هو مثال واحد فقط. وهناك نوع من التفكير الحركي المتعمد الذي ينسق على الفور بين الحركة والنية مثل عندما يدحرج اللاعب كرة القدم في الملعب خلال المباراة. كما أن هناك نوع آخر وهو التفكير التأملي الذي قد يؤدي إلى الشعور بالسلام الداخلي أو إلى رؤى عميقة عن الوجود البشري. وفي المقابل، هناك نوع من التفكير الغريزي شديد الحذر وهو ما يحتاج إليه الجنود في المعركة. وفي سياق الثقافة الشعبية، يجد المرء أن الناس يظهرون جميع أنواع التفكير المختلفة أو هذا النوع أو ذاك من الذكاء، وقد يكون من الصعب أحياناً تمييز العلم من بين العلوم الزائفة، وذلك يشابه جوهرياً صعوبة صمود الحقيقة أمام المزاح في آخر حفلة حضرتها.

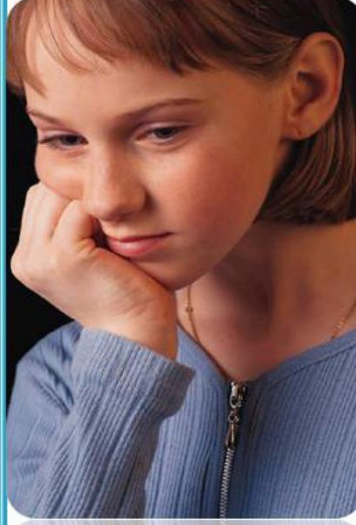
نظاما اتخاذ القرار المنطقيان اللذان يعملان بالتوازي

النظام الثاني

يقدم آراء مدروسة قائمة
على المعايير.

تأملني ومنطقي ونظامي.

يمكن أن يدعم النظام الأول
أو يطغى عليه.



النظام الأول

يقدم أحكام ترابطية شمولية
سريعة.

تلقائي ومدرّب جيّدًا وتفاعلي.

يمكن أن يُعيق الدعم من
النظام الثاني أو يستمد منه.

© 2011 Peter A. & Noreen C. Facione, and Measured Reasons, Hermosa Beach, CA.

"التفكير" في العلم المعرفي:

تشير النظريات الناتجة عن دراسات أكثر علميةً لصنع القرار والتفكير البشري خلال السنوات الأخيرة أن التفكير أكثر اندماجًا وأقل ازدواجية ممّا توحى به المفاهيم في الثقافة الشعبية، فينبغي لنا أن نكون حذرين بشأن الأطروحات التي تقترح طرقًا مفرطة البساطة لفهم كيفية تفكير البشر، وأن نتفادى المفارقات القاسية والصارمة مثل "المنطق مقابل العاطفة" أو "التصرف البديهي مقابل التصرف الخاطئ" أو "الإبداع مقابل النقد" أو "صاحب الدماغ الأيمن مقابل صاحب الدماغ الأيسر" أو "كما في كوكب المريخ مقابل كما في كوكب الزهرة".

غالبًا ما يكون هناك لبّ من الحكمة في المعتقدات الشائعة، وربما أن الجوهر هذه المرة هو أن ندرك أننا أحيانًا نتخذ قرارات سريعة هي تقريبًا ردود فعل عفوية بديهية للوضع القائم، فالعديد من الحوادث على الطرق السريعة في وطننا هذا يتفادها السائقون تحديدًا بفضل قدرتهم على رؤية المواقف الخطرة والتعامل معها بسرعة، والعديد من القرارات الجيدة التي تبدو بديهية هي فعلاً ثمرة الخبرة، فالقرارات التي يتخذها السائقون الجيدون في لحظات الأزمات أو القرارات التي يتخذها

اللاعبون المدربون خلال سير المباراة أو القرارات التي يتخذها المعلم الموهوب خلال تفاعله مع الطلاب هي نابعة من الخبرة، والتدريب، والممارسة.

وفي الوقت نفسه الذي نكون فيه منغمسين في العالم من حولنا وفي حياتنا اليومية ومستمرين في اتخاذ القرارات دون دراسة، فإننا قد نكون أيضاً ندرس أمراً آخر بعمق، فإذا كنا على سبيل المثال قلقين إزاء قرار يجب أن نتخذه بشأن مشروع مهم في العمل أو علاقة شخصية أو مسألة قانونية أو أي قرار كان، فإننا نجمع المعلومات، ونفكر بخياراتنا، ونستكشف الاحتمالات، ونشغل بعض الأفكار حول ما نقترح أن نفعله ولماذا نرى أن هذا الخيار هو الصحيح. وبعبارة أخرى، سنصدر حكماً هادفاً ومدرّساً حول ما يجدر بنا أن نؤمن به أو نفعله، وتحديدًا تلك الأحكام التي يتركز حولها التفكير النقدي.

تشير النماذج التكاملية الحديثة لعملية صنع القرار البشرية إلى أن أفضل وصف لعمليات التفكير التي يجريها جنسنا البشري ليس أنها تتسم بالازدواجية المتنازعة مثل "التصرف البديهي مقابل التصرف المدروس" بل أنها بالأحرى عملية تكاملية لنظامين يدعم كل منهما الآخر "التصرف البديهي مع التصرف المدروس"، ويوجد هذان النظامان من التفكير لدينا جميعاً ويمكن أن يعملان في آن واحد للبت بصورة معرفية فيما نتخذه من قرارات إزاء شؤون الحياة.

وأحد هذين النظامين أكثر تلقائية وتفاعلاً وسرعة وشمولية. وحتى لا تختلط الأمور بمفاهيم التفكير في الثقافة الشعبية، يطلق علماء المعرفة على هذا النظام "النظام الأول"، أما النظام الآخر (يمكنك بالطبع تخمين اسمه) فهو مدروس ومتعمق ومحسوب وتحكمه القاعدة بشكل أكبر. أنت محق، يُطلق على هذا النظام "النظام الثاني".

يعتمد الفرد في تفكير النظام الأول اعتماداً كبيراً على عدد من المعطيات الكشفية (المناورات المعرفية)، والسمات الظرفية الرئيسية، والأفكار المرتبطة بسهولة، والذكريات الحية حتى يتوصل إلى القرار بسرعة وثقة، فتفكير النظام الأول مفيد تحديداً في الأوضاع المألوفة التي يكون فيها الوقت قصيراً وتتطلب إجراءات فورية.

أثناء عمل النظام الأول، هناك نظام قوي آخر يعمل وهو -إن لم نوقفه بالتعاطي المفرط للكحول والمخدرات، أو بالخوف، أو باللامبالاة- ما يُسمّى بـ "النظام الثاني" وهو نظام التفكير المدروس بشكل أكبر، وهو مفيد في إصدار الأحكام حينما تجد نفسك في أوضاع غير مألوفة ويكون لديك فيها وقت أطول لتتبين الأمور. ويسمح لنا معالجة المفاهيم المجردة، والتروّي، والتخطيط مسبقاً، ودراسة الخيارات بعناية، واستعراض عملنا ومراجعتة في ضوء الإرشادات والمعايير والقواعد الإجرائية ذات الصلة. وفي حين أن قرارات النظام الثاني تتأثر أيضاً بالتطبيق الصحيح أو الخاطئ للمناورات الكشفية، فإن هذا هو النظام الذي يعتمد على المبررات المفصلة بوضوح وعلى الأدلة المكتملة تماماً، فهو الاستدلال بناءً على ما تعلمناه من خلال عمليات التحليل، والتقييم، والإيضاح، والتصحيح الذاتي الدقيقة، وهو النظام الذي يثمن الصدق الفكري، و التوقع التحليلي لما سيحدث لاحقاً، ونضج الحكم، والإنصاف، والتخلص من التحيز، والبحث عن الحقيقة، كما أنه النظام الذي نعتمد عليه لنفكر بعناية في المشكلات المعقدة والجديدة ومرتفعة المخاطر والمتشابكة إلى حد

يحثنا التربويون على تحسين مهارتنا في التفكير النقدي وتعزيز موقفنا تجاه استخدام هذه المهارات لأنها قد تكون أفضل طريقة لتحسين استدلال النظام الثاني لدينا وتحسينه.

ويعتقد أن النظام الأول والنظام الثاني أداتان أساسيتان لصنع القرار عندما تكون احتمالية المخاطر مرتفعة وعندما يشكل عدم التيقن معضلة، ويُعتقد أنه يمكن لكلٍ من هذين النظامين المعرفيين العمل على متابعة النظام الآخر ومن ثمّ ربما تجاوزه. وهذه إحدى الطرق التي يقلّل فيها جنسنا البشري من احتمالية ارتكابنا لأخطاء حمقاء، أو دون المستوى، أو حتى أخطاء خطيرة عند إصدار الحكم، فالتفكير البشري هو أبعد ما يكون عن الكمال، فحتى المفكر الجيد يرتكب أخطاءً في النظام الأول والنظام الثاني إذ إنّنا أحياناً قد نسيء تفسير الأمور، أو نحصل على حقائق خاطئة ومن ثم نرتكب الأخطاء.

ولكن في كثير من الأحيان ترتبط أخطاؤنا مباشرة بتأثير المعطيات المعرفية الكشفية وسوء استخدامها، وذلك لأننا نشترك في الميل إلى استخدام هذه المعطيات الكشفية عند اتخاذنا للقرارات، فلنرى كيف تؤثر بعض هذه المعطيات علينا.

إن المعطيات المعرفية الكشفية هي مناورات فكرية قد يبدو أحياناً أنها مبرمجة تقريباً داخل جنسنا البشري، وهي تؤثر على نظامي التفكير على حد سواء؛ التفكير البديهي للنظام الأول والتفكير المدروس للنظام الثاني. وهناك خمسة معطيات كشفية يبدو أنها تعمل غالباً داخل عملية الاستدلال في النظام الأول لدينا وهي: *التوافر، والتأثير، والترابط، والمحاكاة، والتشابه*. يؤدي *التوافر* -وهو أن يسترجع ذهنك قصة أو ذكرى حية لأمر حدث لك أو لفرد مقرب منك- إلى أن يضع الفرد تقديرات غير دقيقة حول احتمالية حدوث ذلك الأمر مرةً أخرى، فدائماً ما يحكي الناس قصصاً حصلت لهم أو لأصدقائهم كوسيلة لتفسير قراراتهم الخاصة، وقد لا تكون هذه القصص نموذجية من الناحية العلمية، فقد تكون الأحداث مغلوطة أو قد أسيء فهمها أو تفسيرها. ولكن بغض النظر عن ذلك، فإن قوة القصة تكمن في أنها توجه -بطريقة إيجابية غالباً- القرار إلى خيار ما بدلاً من الآخر.

يعمل *مُعطى التأثير* عندما تتشكل لديك ردة فعل إيجابية أو سلبية فورية تجاه فكرة، أو اقتراح، أو فرد، أو موضوع، أو أي أمر كان، وتكوّن الاستجابة العاطفية هذه التي تُسمّى أحياناً بـ"ردة الفعل الغريزية" توجهنا الأولي -إيجابياً كان أم سلبياً- إزاء الموقف، وعلى الرغم من أن تخطّي الاستجابة العاطفية القوية تجاه فكرة ما يتطلب الكثير من عمليات استدلال النظام الثاني، فإنه ليس بالأمر المستحيل، وأحياناً قد ينبغي لك فعله لأنه ليس هناك ما يضمن أن ردة فعلك الغريزية صحيحة دائماً.

⁵ يحدد الفصلان التاسع والعاشر من: *Think Critically*, Pearson Education, 2011 التفكير النقدي ضمن إطار هذا النموذج المتكامل للتفكير. كما أن المعطيات المعرفية الكشفية -التي ستوصف لاحقاً- والقدرة البشرية على التوصل إلى قرارات موثوقة دائمة (سواء صحيحة أم خاطئة) -مما يعرف بهيكلية الهيمنة- موجودة هناك أيضاً، وهناك العديد من الأمثلة والتمارين المفيدة في هذا الكتاب. وقد ترغب أيضاً باستشارة المراجع المذكورة في نهاية هذه المقالة. إن المواد المذكورة في هذا الجزء قد استُخلصت من هذه الكتب والمطبوعات ذات الصلة التي ألفها العديد من هؤلاء الكتاب أنفسهم وغيرهم ممن يعملون على إيجاد تفسير علمي لكيفية اتخاذ البشر لقراراتهم في الواقع.

أما مُعطى الترابط فإنه يعمل عندما تُذكرنا كلمة أو فكرة ما بأمر آخر، على سبيل المثال، يربط بعض الناس كلمة "مرض السرطان" بـ"الموت" ويربط آخرون "شروق الشمس" بـ"السعادة"، وقد يكون هذا النوع من الاستجابات الاستدلالية الترابطية مفيداً أحياناً، ومن ذلك مثلاً أن يؤدي ربط مرض السرطان بالموت إلى ترك التدخين والانتظام على إجراء فحوصات دورية. وفي أحيان أخرى، قد يجعل هذا الترابط نفسه الفرد يتخذ قراراً غير حكيم كأن يؤدي مثلاً ربطك بـ"مرض السرطان" بـ"الموت" بأن تشعر بخوف وتشاؤم شديدين لدرجة أنك لا تجري تشخيصات أو لا تتبع علاجاً لأعراض سرطانية تدعو إلى القلق حتى يفوت الأوان.

يعمل مُعطى المحاكاة عندما تتخيل كيف ستسير السيناريوهات المختلفة، فيتخيل الناس غالباً كيف ستجري محادثة ما، أو كيف سيعاملهم الفرد الآخر عندما يقابلونه، أو ما الذي سيقوله أصدقاؤهم أو مديرهم أو أحبائهم أو ما سيفعلونه عندما يناقشونهم في مسألة شائكة. تساعدنا عمليات المحاكاة هذه -التي هي كالأفلام في أذهاننا- أن نستعد ونُبلي حسناً عندما تحين اللحظة الحرجة، ولكنها قد تقودنا أيضاً إلى توقعات خاطئة، فقد لا يستجيب الناس بالطريقة التي تصورناها، وقد تأخذ الأمور منحى مختلفاً تماماً، فقد تخوننا استعداداتنا لأن بساطة محاكاتنا قد ضللتنا للظن بأن الأمور ستسير وفق ما تخيلنا، ولكنها لم تفعل.

وبالنسبة لمُعطى التشابه فإنه يعمل عندما نلاحظ أننا بشكل أو بآخر نشبه فرداً ما، ومن ثم نستنتج أنه من المرجح أن ما حدث لذلك الفرد سيحدث لنا، ويعمل مُعطى التشابه إلى حدٍّ كبير كمقولة تشبيهية أو نموذج مجازي، فالتشابه الذي نركز عليه قد يكون أساسياً وذا صلة مما يجعل الاستنباط أكثر تسويغاً. فعلى سبيل المثال، طرد المدير زميلك في العمل لأنه لم يحقق الرقم المستهدف للمبيعات وتوصلت إلى نتيجة منطقية وهي أنك إن لم تحقق هذا الرقم المستهدف، فستطرد أيضاً. أو قد يكون التشابه الذي يتبادر إلى أذهاننا سطحياً أو غير مرتبط بالنتيجة مما يجعل الاستنباط غير مسوّغ، فمثلاً، قد تشاهد إعلاناً تلفزيونياً يُظهر شاباً رشيقاً الأجسام يتلذذون بأكل وجبات سريعة وتستنتج من ذلك أنه بما أنك شاب مثلهم، فبإمكانك أن تُشبع رغباتك بأكل الوجبات السريعة دون أن تكتسب الكثير من الوزن الزائد البشع.

تتضمن المعطيات الكشفية والتحيزات التي تبدو إلى حدٍّ ما أكثر ارتباطاً بالتفكير في النظام الثاني ما يلي: *الإرضاء، والنفور من المخاطر/الخسارة، الارتساء ثم التعديل، ووهم السيطرة.*

يحصل **الإرضاء** عندما ننظر في البدائل المتاحة لنا، وعندما نتوصل إلى بديل جيّد بما فيه الكفاية لتحقيق أهدافنا، فإننا غالباً ما نرى أننا استكملنا دراسة الموضوع، وأنها مقنعة، ولم لا نفتتح؟ فالخيار في نهاية المطاف جيّد بما فيه الكفاية، قد لا يكون ممتازاً ولا مثالياً بل قد لا يكون أفضل الخيارات المتاحة، ولكنّه جيّد بما فيه الكفاية، وقد حان الوقت لاتخاذ القرار والمضي قدماً.

الشريك الآخر للإرضاء هو المماطلة، والمماطلة هي أن نقرّر أن الخيار الذي توصلنا إليه "جيد بما فيه الكفاية في الوقت الحالي"، وغالباً ما نمضي في حياتنا على الإرضاء والمماطلة. وأحياناً نسترجع أحوالنا السابقة ونتساءل لمّا اكتفينا بما هو أقل بكثير مما كنّا سنحصل عليه، فلو أننا درسنا

بجد أكبر، ولو أننا عملنا بجهد أكثر، ولو أننا اعتنينا بأنفسنا وبعلاقاتنا بصورة أفضل، لربما لم يكن حالنا كما هو عليه الآن، ولكن في ذلك الوقت كانت جميع القرارات المتاحة لنا "جيدة بما فيه الكفاية في الوقت الراهن".

إننا بطبيعة جنسنا البشري **ننفر من المخاطر والخسارة**، فنتخذ قراراتنا غالباً بناءً على ما نخاف جداً من خسارته، بدلاً من أن نفكر فيما قد نكسبه، ويتضح أن هذا النهج نافع نسبياً في كثير من الظروف، فالناس لا يريدون أن يفقدوا سيطرتهم، أو حريتهم، أو حياتهم، أو عوائلهم، أو وظائفهم، أو ممتلكاتهم، إذن، فنحن نأخذ احتياطاتنا في الحياة الواقعية ونتجنب المخاطر غير الضرورية، فقد تكون الفرص مواتية لنا ولكن عواقب الخسارة أحياناً قد تكون فادحة جداً لدرجة أننا نفضل أن نتخلى عن احتمالية تحقيق المكاسب حتى لا نخسر ما لدينا. ومع ذلك، قد يكون ذلك القرار أحياناً مؤسفاً للغاية، فقد أثبت التاريخ مراراً وتكراراً أن الشركات التجارية التي تتجنب المخاطر غالباً لا تستطيع أن تتنافس بنجاح مع الشركات التي تميل إلى الدخول بصورة أكثر جرأة إلى أسواق جديدة أو خطوط إنتاج جديدة.

إن أي معطى كسفي ما هو إلا مناورة ذهنية، فقد يكون اختصاراً أو دافعاً إلى التفكير أو العمل بطريقة بدلاً من الأخرى، ولكنه بالتأكيد ليس قاعدة مأمونة الجانب، فقد ينجح الاعتماد على المعطيات في معظم الأحيان ولكنه لن يعطينا النتيجة الأفضل دائماً.

فعلى سبيل المثال، يميل من لديهم ما يخسرونه إلى اختيار القرارات الحذرة من الناحية السياسية والاقتصادية على حدٍ سواء، ولا يوجد خطأ في ذلك بالضرورة، ولكنها مجرد ملاحظة حول تأثير معطى النفور من الخسارة على صنع القرار الفعلي، فنحن نميل إلى تحمل الوضع الراهن حتى وإن كان يتدهور شيئاً فشيئاً أكثر من ميلنا إلى المطالبة بتغيير "جذري". ولكن للأسف، عندما يحين وقت المطالبة بالتغيير، فإنه يتطلب في كثير من الأحيان انقلاباً أقوى بكثير لتحقيق التغييرات المطلوبة، أو أحياناً قد يكون الوضع قد تردى ليصل إلى نقطة اللاعودة، وفي تلك الحالة نجد أنفسنا نتساءل لم انتظرنا كل هذا الوقت قبل أن نفعل شيئاً ما.

أما عن المعطى الذي يُسمى **بالارتساع ثم التعديل** فإنه يعمل عندما نجد أننا نصدر أحكاماً تقييمية، فالأمر الطبيعي لنا هو أن نحدد موضع تقييمنا أو نرسيه في نقطة ما على المقياس الذي نستخدمه أياً كان. فمثلاً، قد يقول أستاذ جامعي إن الدرجة التي يستحقها طالب ما على ورقة سلمها هي جيد، ولاحقاً عندما تظهر لنا معلومات جديدة، فإننا قد نعدل الحكم الذي أصدرناه، فقد يقرر هذا الأستاذ الجامعي على سبيل المثال أن ورقة الطالب مساوية في جودتها لأوراق طلاب آخرين استحقوا عليها درجة جيد جداً، ولذلك يعدل درجة الطالب إلى الأعلى. والمثير للاهتمام في هذا المعطى هو أننا عادةً عندما نعيد التقييم لا نبدأ من الصفر، فنحن قد أرسينا المقياس ويمكن أن نرفعه أو نخفضه قليلاً لكننا لن نسحبه من القاع إلى الأعلى حتى نعيد تقييمنا، فكما يُقال، لا يُمكن إبطال أثر الانطباع الأول. والجيد في هذا المعطى هو أنه يتيح لنا أن نمضي قدماً، فقد انتهينا من إصدار التقييم، وهناك أوراق أخرى لتُصحح، ومشاريع أخرى ليُعمل عليها، وأمور أخرى في الحياة تتطلب الاهتمام، فلن نتحمل كثيراً إذا كان علينا أن نعيد التقييم من الصفر باستمرار. أما الأمر المؤسف في هذا المعطى هو أننا أحياناً قد نُرسي المقياس في المكان الخطأ، فقد نواجه صعوبة في إعطاء الناس

فرصة أخرى لترك انطباع أولي جيد.

يتجلى المعطى المعروف باسم **وهم السيطرة** في كثير من المواقف، فالكثير منا يغالون في تقدير قدراتهم على التحكم بما سيحدث، فنضع خطأً لكيفية تنفيذنا لأمر ما أو لآخر، أو قولنا هذا أو ذاك، أو التلاعب بالوضع بطريقة أو بأخرى، أو مشاركة هذه المعلومة أو تلك الاحتمالية من عدمها ظناً منا أن خططنا البسيطة هذه ستمكننا بطريقة أو بأخرى من التحكم فيما سيحدث، ونتصرف وكأن الآخرين يسيرون وفقاً للخطى التي نرسمها لهم بينما أن تأثير كلماتنا أو تصرفاتنا على الأحداث المستقبلية في واقع الأمر طفيف جداً. ولكننا أحياناً نتمتع بقدر من السيطرة، فمثلاً، يمكننا أن نمارس الرياضة، وألاً ندخن، وأن نراقب نظامنا الغذائي حتى نتمتع بلياقة وصحة أكبر، كما أننا نحرص ألا نتناول المهدئات إذا كنا ننوي أن نقود السيارة وذلك حتى نقلل من احتمالية تعرّضنا لحادث سير، ولكننا ببساطة قد نكون مخطئين أحياناً بشأن قدرتنا على ممارسة السيطرة الكاملة على وضع ما، فللأسف، قد نصاب بالأمراض حتى لو كنا نبذل جهداً كبيراً في العناية بأنفسنا، أو قد نتعرض لحادث سير حتى لو لم نتناول المهدئات، وقد يفشل مشروعنا التجاري حتى لو بذلنا كل ما في وسعنا لإنجاحه، وقد لا نبلي حسناً في اختبار ما كما أملنا حتى وإن ذاكرنا جيداً.

ومما يتعلّق بمُعطى وهم السيطرة هو ميلنا إلى إساءة تقدير مدى تأثير نفوذنا الشخصي أو مسؤوليتنا الشخصية على الأحداث الماضية، وهو ما يسمّى **بتحيز الإدراك المتأخر**، فقد نغلو في تقدير مدى تأثير تصرفاتنا على الأحداث عندما تسير الأمور على ما يرام، أو قد نقلل من قدر تحملنا للمسؤولية أو الذنب عندما تسوء الأمور، فجميعنا قد سمعنا أناساً يتفاخرون بكونهم فعلوا أمراً أو آخر مما أدى إلى أحداث رائعة في حياتهم، فيقولون لقد أعددنا هذه الخطط الرائعة، انظر كيف نجحت مشاريعنا مالياً، الأمر الذي قد يكون صحيحاً في حالة ازدهار الاقتصاد، ولكن ليس في حالة ركوده، فليس من الواضح كم من هذا النجاح نتج عن تخطيطنا وكم منه نتج عن البيئة العامة للمشاريع. أو أننا مررنا جميعاً بالوضع ذاته عندما يحين فيه الوقت لأن نتحمل مسؤولية فشل بعض الأمور ثم قلنا لأنفسنا: مهلاً، قد أكون أنا السبب وراء بعض ما حدث ولكنه لم يكن خطأي كاملاً، "لم يكن خطأي أن الأطفال تأخروا عن مدارسهم فقد ارتديت ملابسى وكنت مستعداً للخروج في الوقت المعتاد". وكأنه لم يكن عليّ وأنا أرى أفراد عائلتي يتأخرون أن أبادر وأساعدهم.

"الجنون هو أن تفعل الشيء ذاته مراراً وتكراراً وتوقع نتيجة مختلفة".

ألبرت آينشتاين (Albert Einstein)

لا تهدف البحوث التي أجريت حول الأنماط الكشفية لصنع القرار إلى تقييم هذه الأنماط باعتبارها أنماط تفكير جيدة أو سيئة، وأخشى أن تكون صياغتي لها أعلاه ليست بقدر الحياد أو الوصف الذي يجب أن تكون عليه. في الواقع، قد يكون الاعتماد على المعطيات الكشفية وسيلة فاعلة تساعدنا على اتخاذ القرارات نظراً إلى مدى تعقيد حياتنا، ولا يمكننا أن نكرّس الموارد المعرفية القصوى لكل قرار نتخذه.

إن بعضنا الذين يدرسون ظواهر التفكير الكشفي هذه هم ببساطة يحاولون توثيق كيفية تفكيرنا نحن البشر، وهناك العديد من الأهداف وراء ذلك فمثلاً، إذا وجدنا أن الناس يكررون ارتكاب نوع ما من الأخطاء عند تفكيرهم في مشكلة شائعة، فإننا بذلك قد نجد طرقاً للتدخل ومساعدة أنفسنا

على عدم تكرار هذا الخطأ مرارًا وتكرارًا.

إن هذا البحث عن الأنماط الفعلية للتفكير التي يستخدمها الأفراد والمجموعات على حدٍ سواء قد يثبت أنه ذو أهمية خاصة لأولئك الذين يبحثون عن التدخلات التي قد تحسّن من كيفية اتخاذنا لقراراتنا الصحية الخاصة، وكيفية اتخاذنا لقراراتنا التجارية، وكيف نقود فريقًا من الناس إلى العمل بفاعلية أكبر في البيئات التعاونية، وما إلى ذلك.

تطرح الثقافة الشعبية أسطورة أخرى جديدة بالتساؤل حول صنع القرار، وهي الاعتقاد بأننا عندما نتخذ قرارات مدروسة فإننا نزن كُلاً من خياراتنا بعناية مع إيلاء المراعاة اللازمة لكلٍ منها قبل أن نقرر ما سنعتمده، وعلى الرغم من أنه ربما هذا ما ينبغي أن يكون عليه الحال، فإن البحث الذي أجري حول صنع القرار البشري أظهر أنه ببساطة ليس هذا ما يحدث.⁶ وعند السعي إلى تفسير كيفية اتخاذ الناس لقراراتهم باقتناع تام يلتزمون معه بقراراتهم هذه على مر الزمن بثقة بالغة تجعلهم يتصرفون بناءً على القرار الذي اتخذه، فقد طرحت فكرة مفادها أن ما نفعله هنا هو أننا نبني هيكل هيمنة. وبإيجاز، تشير هذه النظرية إلى أننا عندما نستقرّ على خيار معين نراه جيداً بما فيه الكفاية فإننا نميل إلى تعزيز مزاياه وتقليل عيوبه مقارنةً بالخيارات الأخرى، فنرفع مكانته في أذهاننا إلى أن يصبح هو الخيار المهيمن بالنسبة لنا. وبهذه الطريقة، فإننا أثناء تشكّل قرارنا نكتسب ثقة فيما اخترناه ونشعر أن استبعادنا للخيارات الأخرى أمر مبرر رغم أن المسافة الموضوعية بين أيٍّ من هذه الخيارات وخيارنا المهيمن قد لا تكون بعيدة جداً، لكننا نستثمر في خيارنا المهيمن إلى الحد الذي يمكننا من أن نضع الاحتمالات الأخرى جانباً وأن نتصرف بناءً على القرار الذي اتخذناه. وفي الواقع، إن الخيار الذي اتخذناه يهيمن على الخيارات الأخرى في أذهاننا للحد الذي يمكننا من الإبقاء على هذا القرار الذي اتخذناه ليعمل على مدى فترة من الزمن بدلاً من العودة من أجل إعادة التقييم أو النظر باستمرار. ويمكن أن يساعدنا فهم الظاهرة الطبيعية لهيكل الهيمنة على أن ندرك لمّ قد يكون من الصعب علينا أن نُفنع الآخرين بالعدول عن آرائهم، أو لمّ يبدو أن الأسباب الكامنة وراء قراراتنا أفضل بكثير من الاعتراضات التي قد يقدمها الآخرون على هذه القرارات، وهذا لا يعني أننا على حقّ أو على خطأ، ولكنه يعني فقط أن البشر قادرون على بناء مواقف دفاعية بلا وعي حول قراراتهم مما قد يؤدي إلى الثقة المبررة أو غير المبررة التي تدفعهم إلى التصرف على أساس هذه القرارات.

وبإدراك قوة هيكل الهيمنة، لا يسع المرء إلا أن يزيد يقيناً بأهمية التعليم والتفكير النقدي، فعلينا أن نبذل كل ما في وسعنا لتوعية أنفسنا تماماً وأن ندرس خياراتنا بعناية قبل أن نتخذها لأننا في نهاية الأمر بشر ومن المرجح أننا قد نعتقد أننا محقّون وأنهم مُخطئون عندما يبدأ هيكل الهيمنة بالعمل. وقد يكون التغلب على ذلك لإصلاح القرارات السيئة -وهو أمر ممكن- أصعب بكثير من إنجاز الأمور على نحو صائب في المقام الأول.

هناك معطيات كشفية أكثر من تلك الواردة أعلاه، وهناك المزيد لمعرفة حول هيكل الهيمنة

⁶ Henry Montgomery, "From cognition to action: The search for dominance in decision making." In Process and Structure in Human Decision-Making, Montgomery H, Svenson O (Eds). John Wiley & Sons: Chichester, UK, 1989.

للحصول على وصف أسهل إضافةً إلى تمارين تأملية عن كيفية تجنّب أن تكون "عالمًا" في قرار سيء في وقت مبكر، انظر الفصل العاشر من (Think Critically).

فهو يحدث مع المجموعات وكذلك مع الأفراد، وكيفية التخفيف من حدة المشكلات التي قد تنشأ عن القبول بخيار "جيد بما فيه الكفاية" مبكراً، أو حول كيفية صياغة الأنشطة أو البرامج التعليمية التي تساعد الناس على أن يكونوا أكثر فاعلية في استخدام التفكير في النظام الأول والنظام الثاني. وهناك الكثير لتعلمه حول التفكير البشري وكيفية تحسينه لدى الأفراد من مختلف الأعمار، أي كيفية تحسين التفكير لدى مجموعات الأقران ولدى المجموعات التي تؤثر فيها الهرميات التنظيمية على الدينامية الشخصية بين الأفراد، ولحسن الحظ، هناك الكثير مما نعرفه اليوم عن التفكير البشري وصنع القرار ولم نكن نعرفه قبل بضع سنوات.

لماذا التفكير النقدي؟

فلنبدأ بك أولاً، لماذا يُعدّ التفكير النقدي مهماً لديك حتى تتحلّى بالمهارات المعرفية للتفسير، والتحليل، والتقييم، والاستنباط، والإيضاح، والتقنين الذاتي؟

بغض النظر عن -أو ربما بالنظر فيه- ما قلناه في بداية هذه المقالة حول فائدة التفكير النقدي الإيجابي والمشكلات التي قد يسببها الفشل في التفكير النقدي، لماذا سيكون من المفيد لك أن تتعلّم كيف تعيش حياتك وكيف تعالج مخاوف محددة بواسطة سلوكيات التفكير النقدي المذكورة أعلاه؟ هل ستحظى بنجاح أكبر في عملك؟ هل ستحصل على درجات أفضل؟

في الواقع إن إجابة سؤال الدرجات -من الناحية العلمية- هو أنه أمر ممكن جداً بالفعل، إذ تُظهر دراسة أجريت على أكثر من 1.100 طالب جامعي أن درجاتهم في اختبار مهارات التفكير النقدي على مستوى الكلية ارتبطت ارتباطاً كبيراً بمعدلهم الجامعي،⁷ وقد تبين أيضاً أنه يُمكن تعلّم مهارات التفكير النقدي مما يشير إلى أن تعلّم الفرد لهذه المهارات قد يرفع من معدله الجامعي. ومما يزيد من دعم هذه الفرضية هو الارتباط الكبير بين التفكير النقدي وفهم المواد المقرّوة، فتحسّن أحدهما يتوازى مع تحسّن الآخر. والآن إذا استطعت القراءة بشكل أفضل والتفكير بشكل أفضل، ألن يتحسن أدائك في دروسك، وتتعلم أكثر، وتحصل على درجات أفضل، وهو على أقل تقدير أمرٌ منطقيٌّ جداً.

التعلّم، والتفكير النقدي، ومستقبل أمتنا

"ينتمي المستقبل الآن إلى المجتمعات التي تُنظّم نفسها من أجل التعلّم [...] ويجب على الأمم التي ترغب في الإيرادات العالية وفي توفير فرص عمل للجميع أن تضع سياسات تُشدّد على أهمية اكتساب الجميع -وليس قلة مختارة فقط- للمعرفة والمهارات".

⁷ وردت الاكتشافات المتعلقة بمدى فاعلية تعليمات التفكير النقدي وارتباطها بالمعدل الجامعي والقدرة على القراءة في: "Technical Report #1, Experimental Validation and Content Validity" (ERIC ED 327 549), "Technical Report #2, Factors Predictive of CT Skills" (ERIC ED 327 550), and "Gender, Ethnicity, Major, CT Self-Esteem, and the California Critical Thinking Skills Test" (ERIC ED 326 584). لا تزال هذه النتائج ثابتة في البحوث التي تستخدم الأدوات الموجودة ضمن مجموعة أدوات اختبار كاليفورنيا لمهارات التفكير النقدي التي نشرها موقع: Insight Assessment.

Ray Marshall & Marc Tucker, *Thinking For A Living: Education And The Wealth of Nations*, Basic Books. New York. 1992

ولكن يالها من فائدة محدودة أن تحصل على درجات أفضل، من يهتم بذلك حقًا على المدى البعيد؟ ما أهمية المعدل الجامعي بعد مُضيّ عامين أو خمسة أعوام من المرحلة الجامعية؟ يُقدّر العمر النصف للبرامج الفنية والمهنية على مستوى الكلية بحوالي أربع سنوات مما يعني أن المحتوى التقني يتوسّع بسرعة ويتغيّر كثيرًا لدرجة أنه خلال أربع سنوات تقريبًا من تخرّجك سيكون تدريبك المهني بحاجة ماسة للتجديد، وإذا كان الأمر الوحيد الجيد في الجامعة هو الحصول على التدريب التمهيدي والتحصيل العلمي المطلوب لوظيفة ما، فالجامعة إذن ذات فائدة محدودة.



The APA Delphi Report, Critical Thinking: A Statement of Expert Consensus for Purposes of Educational Assessment and Instruction
1990 ERIC Doc. NO.: ED 315 423

هل هذه القصة كاملة؟ الوظيفة أمر جيّد، ولكن هل هذا هو محور التعليم الجامعي؟ البدء بوظيفة جيّدة؟ ربما أن البعض لا يرون قيمته الكبرى لكن الكثيرين يفعلون، فأحد الأهداف الرئيسية إن لم يكن الهدف الرئيس الوحيد لهذه التجربة الكلية سواءً على مستوى العامين أو الأربعة أعوام هو تحقيق ما أسماه الناس بـ"التعليم الليبرالي"، وهو ليس ليبراليًا بمعنى الخلط بين القليل من هذا أو ذاك بلا هدف محدد سوى تحقيق متطلب الوحدة، بل ليبرالي بمعنى "التحرّر"، من هو الذي يتحرّر؟ أنت! تتحرّر من نوع من العبودية. لكن من من؟

من الأساتذة الجامعيين، أي أن تتحرّر في الواقع من تبعيّة الأساتذة الجامعيين حتى لا يُنظر إليهم بعد الآن كسلطات معصومة من الخطأ يُبدون آرائهم خارج حدود مقدرتنا على طعن هذه الآراء، والتشكيك فيها ومعارضتها، وهذا ما يريده الأساتذة الجامعيون في حقيقة الأمر، فهم يريدون

من طلابهم أن يتفوقوا من تلقاء أنفسهم، وأن يذهبوا إلى ما هو أبعد مما هو معروف في الوقت الراهن، وأن يقدموا مساهماتهم الخاصة إلى خدمة المعرفة والمجتمع [إن كونك أستاذًا جامعيًا هو وظيفة غريبة، فكلما زادت فاعليتك كمعلم، كلما قلَّ احتياج طلابك إليك في التعلم].

التعليم الليبرالي يعني تعلّم أن تتعلّم، أي أن تتعلّم أن تُفكّر بنفسك سواء كنت بمفردك أو عند التعاون مع الآخرين.

يُخرجنا التعليم الليبرالي من دائرة الموافقة الساذجة على ما تقوله السلطات، والنسبية ذات النتائج العكسية، والنظرية السياقية الغامضة، ويبلغ ذروته في الحكم المدروس القائم على المبادئ. كما أن تعلّم التفكير النقدي أي غرس الروح النقدية ليس مجرد وسيلة لتحقيق هذه الغاية، بل جزء من الهدف نفسه، ولا يمكننا أن نقول عن المفكرين النقيدين الضعفاء الذين يفتقرون إلى السلوكيات والمهارات المذكورة إنهم متعلمون بتحرّر بغض النظر عن الشهادات الأكاديمية التي يمتلكونها.

نعم، لا يقتصر التعليم الليبرالي على التفكير النقدي بل هو أكثر من ذلك بكثير، فهو يتضمن فهم أساليب ومبادئ ونظريات اكتساب المعرفة التي تتناسب مع الميادين الفكرية المختلفة، وتكون هناك مواجهة مع أبعاد الحياة الثقافية والفنية والروحية، كما أنه يتضمن تطوّرًا في صنع قرار الفرد إلى مستوى النزاهة القائمة على المبدأ والاهتمام بالمصلحة العامة والعدالة الاجتماعية، إضافةً إلى إدراك كيفية تشكيل القوى السياسية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والبيئية والجسدية على الصعيدين العالمي والمحلي لحياتنا جميعًا، ويتضمن أيضًا النمو النابع من التفاعل مع الثقافات واللغات والمجموعات العرقية والأديان والجنسيات والطبقات الاجتماعية غير تلك التي ينتمي إليها، ويتضمن صقل مشاعر الفرد الإنسانية من خلال التأمل في الأسئلة المتكررة للوجود الإنساني والمعنى والحب والحياة والموت، ويشتمل على مراعاة كل ما هو جيّد وكل ما هو سيء في الوضع الإنساني وتقديره وتقييمه نقدًا. وعندما يتوقّظ العقل وينضج وتتوفر التنشئة المناسبة والتغذية التربوية، فإن هذه الأجزاء المركزية الأخرى للتعليم الليبرالي تتطور أيضًا، ويلعب التفكير النقدي دورًا أساسيًا في تحقيق هذه الأغراض.

هل هناك أمر آخر؟ ماذا لو تجاوزنا الفرد ونظرنا إلى المجتمع؟

يقول الخبراء إن التفكير النقدي أمر جوهري -إن لم يكن أساسيًا- لـ"مجتمع ديموقراطي وعقلاني"، ما الذي قد يعنيه الخبراء بذلك؟

حسنًا، إلى أي مدى ستكون الديمقراطية حكيمة إذا تخلى الناس عن التفكير النقدي؟ تخيل قاعدة انتخابية لا تأبه بالحقائق، أو لا ترغب في دراسة إيجابيات القضية وسلبياتها، أو إن فعلت ذلك فهي لا تتحلّى بالقدرة العقلية اللازمة لإجرائه، وتخيل أن حياتك وحياة أصدقائك وعائلتك كانت بيد محلّفين وقضاة يسمحون للتحيزات والصور النمطية أن تحكم قراراتهم، ولا يتعاملون بالأدلة، ولا يأبهون بالتحقيق المنطقي، ولا يعرفون كيفية استنتاج الاستنباط أو تقييمه. فدون التفكير النقدي سيكون الناس أكثر عرضة للاستغلال ليس فقط من الناحية السياسية بل من الناحية الاقتصادية أيضًا، ولن يقتصر تأثير التخلّي عن التفكير النقدي على الاقتصاد الجزئي لحساب الأسرة المصرفي، فلنفترض أن الناس العاملين في التجارة العالمية افنقروا إلى مهارات التفكير النقدي، فإنهم بذلك لن يكونوا

قادرين على تحليل توجهات السوق وتفسيرها، أو تقييم الآثار المترتبة على التقلبات في أسعار الفائدة، أو إيضاح التأثير المحتمل لتلك العوامل التي تؤثر على الإنتاج واسع النطاق وعلى توزيع السلع والمواد، ولنفترض أيضًا أن هؤلاء الناس لم يكونوا قادرين على استنتاج الاستنباطات المناسبة من الحقائق الاقتصادية، أو غير قادرين على تقييم الادعاءات التي يدلي بها عديمو الضمير والمضللون بصورة صحيحة. وفي مثل هذه الحالة، سترتكب أخطاء اقتصادية كبيرة، وستصبح قطاعات الاقتصاد برمتها غير قابلة للتنبؤ وسيصبح حدوث كارثة اقتصادية واسعة النطاق أمرًا محتملاً للغاية. إذن، بالنظر إلى مجتمع لا يُقدّر أهمية التفكير النقدي أو يغرسها في نفوس أفرادها، فإنه يمكننا أن نتوقع منطقيًا أن ينهار النظامان القضائي والاقتصادي عبر الزمن، وفي مثل هذا المجتمع الذي لا يُحرّر أفرادها من خلال تعليمهم أن يفكروا بصورة نقدية من تلقاء أنفسهم، فستكون المطالبة بتنفيذ أشكال ديموقراطية للحكم ضربًا من الجنون.

التفكير النقدي شكوكي ولكنه ليس تهكميًا، وهو
منفتح فكريًا وليس ضعيفًا، كما أنه تحليلي ولكنه لا
يتصيد الأخطاء. وقد يكون التفكير النقدي حاسمًا
ولكنه ليس مستعصيًا، وقد يكون تقييميًا ولكنه لا
يصدر الأحكام، وقد يكون قويًا ولكنه ليس متعنتًا.

فهل من العجيب أن روّاد الأعمال التجارية وقادة المجتمع المدني قد يكونون أكثر اهتمامًا بالتفكير النقدي من المُرَبِّين؟ إن التفكير النقدي الذي يستخدمه المواطنون النّيرون هو شرط ضروري لنجاح المؤسسات الديموقراطية والمشاريع الاقتصادية التنافسية في السوق الحرة، فهذه القيم مهمة جدًا لدرجة أنه من المصلحة الوطنية أن نحاول تثقيف جميع المواطنين حتى يتمكنوا من تعلّم التفكير النقدي، ليس فقط لمصلحتهم الشخصية بل لمصلحتنا جميعًا كذلك.

تخيّل بشكل عام مجتمعًا ما، كملايين الناس الذين يعيشون في حوض لوس أنجلوس على سبيل المثال، أو من يعيشون في نيويورك وبمحاذاة الساحل الشرقي، أو شيكاغو أو مدينة مكسيكو أو القاهرة أو روما أو طوكيو أو بغداد أو موسكو أو بكين أو هونغ كونغ، فهؤلاء يعتمدون في الواقع بشكل تام على بعضهم وعلى مئات الآلاف من الأفراد الآخرين للحصول على إمداداتهم الغذائية من الغذاء والماء للبقاء على قيد الحياة، ثم تخيّل الآن أن هؤلاء الملايين من الناس سمحوا لمدارسهم وكيّلاتهم أن تتوقف عن تعليم الناس كيفية التفكير النقدي والفاعل. وتخيّل أنه بسبب الحرب، أو مرض الإيدز، أو المجاعة، أو المعتقدات الدينية لم يتمكن أو لم يشأ الآباء أن يُعلّموا أطفالهم كيفية التفكير النقدي. وتخيّل الصراعيين الاجتماعيين والسياسيين، وانهيار النظم الأساس للسلامة العامة أو الصحة

فاسيون، بيتر، "التفكير النقدي: ما هو وما أهميته"

إصدار 2013 الصفحة

العامّة، وفقدان أي فهم علمي لمكافحة الأمراض أو الإنتاج الزراعي، وظهور العصابات شبه العسكرية، والرجال الأشداء، وقادة الحروب الصغيرين الذين يسعون إلى حماية أنفسهم وبلدانهم من خلال السيطرة على ما يستطيعون من الغذاء والماء والقضاء على من يقف في طريقهم.

وانظر إلى ما حدث حول العالم في المناطق التي دمرها الحصار الاقتصادي، أو الحرب ذات الطرف الواحد، أو وباء نقص المناعة البشرية أو فيروس نقص المناعة المكتسبة (HIV/AIDS)، أو انظر إلى مشكلة تغيّر المناخ العالمي ومدى أهمية تعاوننا جميعًا لبذل جهود ترمي للحد من استخدامنا للوقود الأحفوري من أجل خفض انبعاثات غازات الاحتباس الحراري الضارة.

وانظر إلى "الثورات الثقافية" التي ينفذها الحكّام المستبدّون، ولاحظ كيف أنه في جميع الحالات تقريبًا يسعى الطغاة الدكتاتوريون وذوو الحكم المطلق إلى فرض قيود أكثر صرامة من أي وقت مضى على حرية التعبير، فهم يصنّفون المثقفين "الليبراليين" بأنهم "خطيرون على المجتمع" ويطرّدون الأساتذة الجامعيين "المتطرفين" من مناصب التدريس لأنهم قد "يفسدون الشباب". ويستخدم بعضهم قوة سلطتهم الحكومية أو الدينية لا لسحق معارضيتهم فقط بل لسحق المعتدلين



أيضًا، ويفعلون كل هذا باسم الحفاظ على طُهر حركتهم، كما أنهم يخوِّفون الصحفيين ووسائل الإعلام التي تجرؤ على التعليق "سلبيًا" على أهدافهم السياسية والثقافية أو أساليبهم الجائرة.

والدليل التاريخي على ذلك هو أن نرى ما يحدث عندما تُغلق المدارس أو تتحول من أماكن

تعليمية إلى أماكن للتلقين العقائدي، فنحن نعلم ما يحدث عندما لا يُدرّس الأطفال تقصّي الحقيقة أو مهارات الاستدلال الجيد أو دروس التاريخ البشري والعلوم الأساسية، فحينها تتفكك الثقافات، وتنهار المجتمعات، وتفشل آلية الحضارة، ويموت عدد كبير من الناس، وعاجلاً أم آجلاً تنشأ فوضى اجتماعية وسياسية.

أو تخيل هيمنة وسائل الإعلام أو الهيمنة السياسية أو الدينية التي بدلاً من أن تغرس التفكير النقدي في الأفراد غرست جميع السلوكيات المعاكسة؟ أو تخيل أن هذه الهيمنة عزّزت صنع القرار غير النقدي والمندفع ونهج "استعد-أطلق-صوب" إزاء الإجراءات التنفيذية. وتخيل أن الكيانات الحكومية والمديرين وقادة المجتمع -بدلاً من تشجيع التفكير النقدي- فضّلوا أن يتخذوا عمداً قرارات غير رشيدة ولا منطقية، ومجحفة، وغير مدروسة، وقاصرة النظر، وغير عقلانية.

فكم من الوقت سيستغرق أفراد هذا المجتمع الذين لا يقدّرون أهمية التفكير النقدي لأن يصبحوا معرضين بشدة لخطر إيذاء أنفسهم وبعضهم البعض بحماقة؟

كثيراً ما تعدّ نشرات الأخبار تقاريراً عن مجموعات الكراهية، وإطلاق النار الجائر، والإرهابيين، والمتطرفين العدوانيين المتشدددين دينياً. ويشكّل التعليم الذي يتضمن قدرًا كبيراً من سلوكيات ومهارات التفكير النقدي كالبحت عن الحقيقة وانفتاح الذهن مشكلةً بالنسبة للإرهابيين والمتطرفين بكافة أنواعهم لأنهم يريدون التحكم بتفكير الناس، فهم أسوأ أنواع الأيدلوجيين، إذ تشمل أساليبهم التلقين، والتخويف، وأشدّ العقائد الاستبدادية صرامةً. وفي عالم "الأسود والأبيض" و "نحن ضد هم"، يعني التعليم الجيد أن الناس قد يشرعون في التفكير بمفردهم، وهو ما لا يريده هؤلاء المتطرفون.

ويُظهر التاريخ أن محاربة التعليم سواءً بحرق الكتب أو نفي المثقفين أو إصدار القوانين التي تهدف إلى قمع البحوث وإحباط السعي المُنصف، والحرّ، والقائم على الأدلة للتوصل للمعرفة قد يحدث في أي مكان وفي أي وقت لا يكون الناس فيه مدافعين متيقظين عن التقصّي الحرّ، والموضوعي، والمستقلّ.

هل يعني ذلك أنه ينبغي للمجتمعات أن تعطي قيمة كبيرة جداً للتفكير النقدي؟

حتمًا!

وهل يعني ذلك أن المجتمع يمتلك حق إجبار أحد أفرادهِ على التفكير النقدي؟

ربما. ولكن في الحقيقة، هل ينبغي علينا فعل ذلك؟

الأفكار (I D E A S)
الخطوات الخمس لعملية حل المشكلات بالتفكير النقدي
تحديد المشكلة ووضع الأولويات (الخطوة الأولى)
التعمق في الفهم وجمع المعلومات ذات الصلة (الخطوة الثانية)
إحصاء الخيارات وتوقع العواقب (الخطوة الثالثة)
تقييم الموقف واتخاذ قرار أولي (الخطوة الرابعة)
فحص العملية وتصحيحها ذاتياً حسب الحاجة (الخطوة الخامسة)

أخذت هذه الصورة من:

"Solve Problems and Succeed in College," chapter of THINK Critically, Facione & Gittens, Pearson Education, 2013.47 الصفحة .

بيان بإجماع الخبراء فيما يتعلق بالتفكير النقدي والمفكر النقدي المثالي

"نحن نرى أن التفكير النقدي هو حكم هادف وذاتي التقنين يفضي إلى التفسير، والتحليل، والتقييم، والاستنباط إضافةً إلى إيضاح الاعتبارات الثبوتية أو المفاهيمية أو المنهجية أو التصنيفية أو السياقية التي يستند إليها الحكم. والتفكير النقدي ضروري كأداة للتقصي، وبهذا يكون التفكير النقدي قوة مُحَرِّرة في التعليم ومصدرًا قويًا في حياة الفرد الشخصية والمدنية. وعلى الرغم من أن التفكير النقدي ليس مرادفًا للتفكير الجيد، فإنه ظاهرة بشرية سائدة وذاتية التقويم، ويكون المفكر النقدي عادة فضوليًا، وحسن الاطلاع، ويثق بالمنطق، ومنفتح الذهن، ومرنًا، ومنصفًا في التقييم، وصادقًا في مواجهته للتحيزات الشخصية، ورشيديًا في إصدار الأحكام، وعلى استعداد لإعادة النظر، وواضحًا حول المشكلات، ومنظمًا فيما يتعلق بالمسائل المعقدة، وجادًا في بحثه عن المعلومات ذات الصلة، وعقلانيًا في اختياره للمعايير، ومركّزًا عند التقصي، ومثابرًا في سعيه للحصول على نتائج على أعلى مستويات الدقة التي يسمح بها الموضوع وظروف التقصي. ولذلك، فإن تعليم المفكرين النقديين الأقوياء يعني السعي إلى تحقيق هذا الهدف، فهو يجمع ما بين تنمية مهارات التفكير النقدي وما بين تعزيز السلوكيات التي تُسفر باستمرار عن رؤى مفيدة والتي هي أيضًا الأساس الذي ينبني عليه المجتمع العقلاني الديمقراطي".

القراءات والمراجع:

American Philosophical Association, *Critical Thinking: A Statement of Expert Consensus for Purposes of Educational Assessment and Instruction*. "The Delphi Report," Committee on Pre-College Philosophy. (ERIC Doc. No. ED 315 423). 1990

Brookfield, Stephen D.: *Developing Critical Thinkers: Challenging Adults to Explore Alternative Ways of Thinking and Acting*. Josey-Bass Publishers. San-Francisco, CA. 1987.

Browne, M. Neil, and Keeley, Stuart M.: *Asking the Right Questions*. Prentice-Hall Publishers. Englewood Cliffs, NJ. 2003.

Costa, Arthur L., & Lowery, I Lawrence F.: *Techniques for Teaching Thinking*. Critical Thinking Press and Software. Pacific Grove, CA. 1989.

Facione, Noreen C, and Facione Peter A.: *Critical Thinking and Clinical Judgment in the Health Sciences - An International Teaching Anthology*. The California Academic Press, Millbrae CA. 2008.

Facione, Noreen C. and Facione, Peter A. : *Critical Thinking Assessment and Nursing Education Programs: An Aggregate Data Analysis*. The California Academic Press. Millbrae, CA 1997.

Facione, Noreen. C., and Facione, Peter A., Analyzing Explanations for Seemingly Irrational Choices, *International Journal of Applied Philosophy*, Vol. 15 No. 2 (2001) 267-86.

Facione, Peter A and Noreen C,: *Thinking and Reasoning in Human Decision Making*. The California Academic Press. Millbrae CA, 2007

Facione, Peter A, *Think Critically*, Pearson Education: Englewood Cliffs, NJ, 2011.

Facione, P.A., Facione, N.C., Talking Critical Thinking, *Change: The Magazine of Higher Education*, March-April, 2007.

Facione, P.A., Facione N. C., and Giancarlo, C: The Disposition Toward Critical Thinking: Its Character, Measurement, and Relationship to Critical Thinking Skills, *Journal of Informal Logic*, Vol. 20 No. 1 (2000) 61-84.

Gilovich, Thomas; Griffin, Dale; and Kahneman, Daniel: *Heuristics and Biases: The Psychology of Intuitive Judgment*. Cambridge University Press. 2002.

Goldstein, William, and Hogarth, Robin M. (Eds.): *Research on Judgment and Decision Making*. Cambridge University Press. 1997.

Esterle, John, and Clurman, Dan: *Conversations with Critical Thinkers*. The Whitman Institute. San Francisco, CA. 1993.

Janis, I.L. and Mann, L: *Decision-Making*. The Free Press, New York. 1977.

Kahneman, Daniel; Slovic, Paul; and Tversky, Amos: *Judgment Under Uncertainty: Heuristics and Biases*. Cambridge University Press. 1982.

Kahneman Daniel: Knetsch, J.L.; and Thaler, R.H.: The endowment effect, loss aversion, and status quo bias. *Journal of Economic Perspectives*. 1991, 5;193-206.

King, Patricia M. & Kitchener, Karen Strohm: *Developing Reflective Judgment*. Josey-Bass Publishers. San Francisco, CA. 1994

Kurfiss, Joanne G., *Critical Thinking: Theory, Research, Practice and Possibilities*, ASHE-ERIC Higher Education Report # 2, Washington DC, 1988.

Marshall, Ray, and Tucker, Marc, *Thinking for a Living: Education and the Wealth of Nations*, Basic Books. New York, NY. 1992.

Resnick, L. W., *Education and Learning to Think*, National Academy Press, 1987.

Rubinfeld, M. Gaie, & Scheffer, Barbara K., *Critical Thinking in Nursing: An Interactive Approach*. J. B. Lippincott Company. Philadelphia PA, 1995.

Siegel, Harvey: *Educating Reason: Rationality, CT and Education*. Routledge Publishing. New York. 1989.

Sternberg, Robert J.: *Critical Thinking: Its Nature, Measurement, and Improvement*. National Institute of Education, Washington DC, 1986.

Toulmin, Stephen: *The Uses of Argument*. Cambridge University Press, 1969.

Wade, Carole, and Tavis, Carol: *Critical & Creative Thinking: The Case of Love and War*. Harper Collins College Publisher. New York. NY 1993.